فهرست الجزء الثانى

صحيفه

٢ الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته

٩ الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان

الفصل الاول

الفصل الثانى

١١ الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ

١٢ الفصل الاول

١٣ الفصل الثانى

١٦ الفصل الثالث

١٧ الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم واخوالهم الخ

الفصل الاول

٤٠ الباب السابع والاربعون فى ذكر الحلى والمصوغ والطيب الخ

٤٣ الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ

الفصل الاول

الفصل الثانى

٤٦ الفصل الثالث

٤٨ الباب التاسع والاربعون فى الاسما والكنى والالقاب الخ

٥٣ الباب الخمسون فى الاسفار والاغتراب وماقيل فى الوداع والفراق الخ

٦١ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه

٦٨ الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه

٧٠ الباب الثالث والخمسون فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد

٧٦ الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك

٧٩ الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف الخ

٨٤ الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ

الفصل الاول

٨٨ الفصل الثانى

٩٧ الفصل الثالث

٩٩ الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة الخ

صحيفة

١٠٧ الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
الفصل الاول
١٠٩ الفصل الثانى
١١٠ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم الخ
١١٥ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة الخ
١٢٧ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد الخ
١٣٦ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام الخ
١٨٠ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١٨٥ الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم الخ
١٨٨ الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب الخ
الفصل الاول
١٩٣ الفصل الثانى
١٩٥ الفصل الثالث
١٩٥ الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال الخ
الفصل الاوّل
١٩٦ الفصل الثانى
١٩٧ الفصل الثالث
٢٠١ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها
٢٠٥ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ
٢١١ الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين واخبارهم الخ
٢١٧ الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى
٢٢٤ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به الخ
الفصل الاوّل
٢٢٦ الفصل الثانى
٢٣٢ الفصل الثالث
٢٤٠ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت الخ
وفيه فصول

صحیفه

٣١٧ الباب الثالث والسبعون فی ذکر النساء وصفاتهن ونکاحهن الخ

الفصل الاول

الفصل الثانی

٣٢٧ الفصل الثالث

٣٢٨ الفصل الرابع

٣٣٤ الفصل الخامس

٣٣٤ الباب الرابع والسبعون فی ذم الخمر وتحریمها والنهی عنها

٣٣٦ الباب الخامس والسبعون فی المزاح والنهی عنه وما جاء فی الترخیص الخ

الفصل الاول

الفصل الثانی

٣٣٧ الباب السادس والسبعون فی النوادر والحکایات وفیه فصول عشرة

الفصل الاول

٣٤١ الفصل الثانی

٣٤٢ الفصل الثالث

٣٤٤ الفصل الرابع

٣٤٤ الفصل الخامس

٣٤٦ الفصل السادس

٣٤٧ الفصل السابع

٣٤٨ الفصل الثامن

٣٤٨ الفصل التاسع

٣٤٩ الفصل العاشر

٣٥١ الباب السابع والسبعون فی الدعاء وآدابه وشروطه وفیه فصلان

الفصل الاول

٣٥٣ الفصل الثانی

٣٦٣ الباب الثامن والسبعون فی القضاء والقدر واحکامهما والتوکل علی الله

٣٦٨ الباب التاسع والسبعون فی التوبة وشروطها والندم والاستغفار

٣٧٢ الباب الثمانون فی ذکر الامراض والعلل والطب والدواء الخ

الفصل الاول

صحیفه

٣٧٢ الفصل الثانی
٣٧٥ الفصل الثالث
٣٧٨ الفصل الرابع
٣٧٩ الباب الحادی والثمانون فی ذکر الموت وما یتصل به من القبر واحواله الخ
٣٨٤ الباب الثانی والثمانون فی الصبر والتأسی والتعازی والمراثی ونحو ذلك
الفصل الاول
٣٨٦ الفصل الثانی
٣٩٠ الفصل الثالث
٣٩٦ الباب الثالث والثمانون فی ذکر الدنیا وأحوالها وتقلبها الخ
٤٠٥ الباب الرابع والثمانون فی فضل الصلاة علی النبی صلی الله علیه وسلم

الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل
فن مستظرف تاليف الامام
الاوحد العالم العلامة اللوذعى
الفهامه الشيخ شهاب الدين
احمد الابشيهى تغمده الله
بالرحمة والرضوان
آمين

كتبت وقد ايقنت يوم كتابتي ... بان يدي تفنى ويبقى كتابها
فيا قارئ الخط الذي قد كتبته ... [illegible] واصابها
فان عملت خير تجز بمثله ... وان عملت شر عليها حسابها

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته﴾

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما وعبثا اوارها باقال المتوكل لابى العينا كم تمدح الناس وتذمهم قال ما احسنوا وأساءوا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه اوّاب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين هموهمو * قتلوا اخاك وشرفوك بمقعد
شادوا الذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المامون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه ابونواس فقيل له اتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان اطنبت فى وصف جعفر * باول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

ابت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا ادرى لمن انا قائله
ارى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى اهجيت ام مدحت فقال له الاحنف ارحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخران هجوتنى اتموت ابنتى قال لا قال افتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حلق فى حرأمك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع وانا اقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو
ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما اتى على ميعاد
يا ركودا فى وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه
داود بن زيد بن حاتم فترضاه واحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وانت مذمم * عجبا لذاك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى
فالحش انت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وانت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

ابوك لنا غيث يغيث بوبله * وانت جراد لست تبقى ولا تذر
له اثر فى المكرمات يسرنا * وانت تعفى دائما ذلك الاثر

وقال المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح ابيه الا له
ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد شعر

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذيب آكله * والذيب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه ايضا

يا ابا الفضل لا تنم * وقع الذيب فى الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * فى غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فامر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء
يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وابوك ابى وامك امى قال اقول شعر

بنى امية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدى فاخبره أن بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر الى البصرة
لينظر فى امرها فسمع اذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال

له يا زنديق عجب ان يكون هذا من غيرك ثم امر به فضرب به سبعين سوطا حتى اتلفه بها
والقى فى سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس اعمى فى سفينة

فلما مات القيت جثته فى الماء فحمله الماء فاخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة واخرجت جنازته فما تبعه احد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم ابودلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضى فلما رآه ابودلامة انشد يقول

لقد خاصمتنى دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لى حجة * ولاخيب الله لى قافيه
ومن خفت من جوره فى القضا * فلست اخافك يا عافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتنى قال له ابودلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لاتعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وامر له بجائزة * ودخل ابودلامة على المهدى وعنده اسماعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تهج واحدا من فى هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى امره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال ابودلامة فازددت حيرة فما رأيت اسلم لى من ان اهجو نفسى فقلت

الا أبلغ لديك ابا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم احد الا أجازه * وقال ابن الاعرابى ان اهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب فى محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل السارى ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما اوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال

فيها ابن المنجم

اقول وقد عاينت دار ابن صورة * والنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها اقل صفاتها * أن تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعرها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا واين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * ابصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها
وبها خنافس كالطنافس افرشت * في ارضها وعلت على جنباتها
لو شم اهل الحرب منتن فسوها * اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
ابدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ماراعني شيء سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على اوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم اخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها
والبوم عاكفة على ارجائها * والدود تبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكي الخيول الجرد في حملاتها

والنار جزء من تلهب حرّها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على ارجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها
ابدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * تتفرّق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
واقول يارب السموات العلى * يارازقا للوحش فى فلواتها
اسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * اخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بين اهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم فى بلان

اشكو الى الله بلانا بليت به * مست انامله ظهرى فادمانى
فلا بذلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان ايضا

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات
عرى جسمى فألبسه نجيعا * على حلل الستور السابلات
ورام بلين اعضاءى برفق * فايبسها وكسر قوقحاتى
* ولم انظر له ابدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
واعمى مقلتى بصنان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

ولبعضهم فى حمام

* وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف ابى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

* ايجمل يا نظام الملك أنى * اعاود من ذراك كما قدمت
واصدر عن حياضك وهى نهب * بافواه السقاة وما وردت
* يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت

اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عمّ الورى كرماسكت

وممن عرّض بالهجو في شعره الخوارزمي قال في ابي جعفر

اباجعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفي
فان أنت انجزت لي ما وعد * ت والا هجيت وادخلت في
وقد علم الناس ما بعدفي * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرّض له بالهجاء ويهدّده يقول

أعد مدحي على وخذ سواه * فقد اتعبتني يامستريح
ولا تغضب اذا انشدت يوما * سواه وقيل لي هذا صحيح

وله أيضا يقول

أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا ليحجوا والوجوه كانها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كان القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود أراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا في فلان تصدّني * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كانه * باقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الجميع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت في اوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوّذ منها حين يمسي ويصبح

ولبعضهم في عظيم انف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد رموه بنعله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه ايضا

رأينا للزكي جدار انف * يضاهي في تشامخه الجبالا
تصدّى للهلال لكي يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم في ابخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * ياقوم قد حاز فكري في مساويه
ياقوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفي الدين الحلي

رأى فرسي اصطبل عيسى فقال لي * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم اذق طعم الشعير كانني * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء اضالعي * لما نسجتها من جنوب وشمال

وله أيضا

ليهنك ان لي ولدا وعبدا * سواء في المقال وفي المقام
فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام

وله في طبيب يدعى اسحاق

مباضع اسحاق الطبيب كانها * لها بفناء العالمين كفيل
معوّدة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله في احمق طويل اللسان

لوأنّ قوّة وجهه في قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
اوكان طول لسانه بيمينه * افنى الكنوز وانفد الاموالا

وهجا اعرابي رجلا ثم مدحه فقال

اني مدحتك من فساد قريحتي * وعلمت أنّ المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدني الى بيت الخلا فيضوع

* وقيل لبعضهم ما تقول في فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما اكبر من نفعهما * وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان في الاثم قصير الباع في الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابي قوله تعالى الاعراب اشدّ كفرا ونفاقا فانتقض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا

وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

واستب رجلان فقال احدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته وقال ابو زيد العبدي

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال

وقال المتوكل لابي العينا مابقي احد في المجلس الا هجاك وذمك غيري فقال

اذا رضيت عني كرام عشيرتي ❊ فلا زال غضبانا علي لئامها

❊(الباب الرابع والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان)❊

(الفصل الاول في الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم ❊ وقال عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك ❊ وما أحسن ماقيل في ذلك

❊ عليك بالصدق ولو أنه ❊ احرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى المولى فأغبى الورى ❊ من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسماعيل بن عبيد الله لما حضرت الى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يابني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن ❊ وعن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه ❊ وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق ❊ وقال محمود الوراق

الصدق منجاة لاربابه ❊ وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به ❊ وقال ارسطاطاليس احسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه ❊ وقال المهلب بن ابي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق ❊ وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ❊ ويقال الصدق محمود من كل احد الا من الساعي ❊ ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان امينا في السموات والارض ❊ وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق ❊ ويقال الصدق بالحر أحرى ❊ وقال عتبة بن ابي سفيان اذا اجتمع في قلبك امران لاتدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان الصواب اقرب الى مخالفة الهوى ❊ وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب ❊ وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخد للحق عز ❊ وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة اخرى ❊ وقال عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا ❊ يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد

ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه ❊ وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وانا اخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوها فالحمد لله تعالى وان تردّونا فالله اكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له اخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا اخى صدقت فانكحك الصدق ❊ وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسالوه ان يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا ازعم ان الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه •

(الفصل الثانى من هذا الباب فى الكذب وما جاء فيه) قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وتحرّوا الصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة ❊ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به ❊ ويقال رواى الكذب احد الكذابين ❊ ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان ❊ وقيل امران لا ينفكان عن الكذب كثرة المواعيد وشدّة الاعتذار ❊ وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب الى يوم القيامة ❊ قال الاصمعى قلت لكذاب اصدقت قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا لقلت لك لا فتعجب

وقال محمود بن ابى الجنود

لى حيلة فيمن ينم ❊ وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ❊ ل فحيلتى فيه قليله

❊ ويقال فلان اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز ❊ وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لا اجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة ما لا اجده بالصدق مع ما ينالنى من نفعه ❊ وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدّق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البليـــــة بعض ما يحكى عليه

فى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

واضاف ضير فى قوما فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت * وعن عبدالله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا افلست احدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست اكذب فكان هذا احب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى انينه فى سقمه وحتى ان الصبى ليبكى فتقول له امه اسكت واشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة احب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة ابغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا اعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء لا من مهانته * اوفعله السوء اومن قلة الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

*ولما نصب معاوية رضى الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال ياأمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا امور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول ياأبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت واخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم امر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له ياأبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف ياهذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ان لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين اواصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جاشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاء يكذب * وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا اقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا * وكان عمرو بن معدى كرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب اليمن اكان ابن معدى كرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ اسلم رضى الله عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد ومايجب لهم)

وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول

(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ❊ وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ❊ وقال تعالى ان اشكرلى ولوالديك الى المصير ❊ وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ❊ وعن على رضى الله عنه لو علم الله شيأ فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ❊ وقيل ان رضى الرب فى رضى الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين (وحكى) ابو سهل عن أبى صالح عن ابى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن ابى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم امه فابطا يوما على اخوته فسالوه فقال كنت اتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت اقدام الامهات وبلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب اوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبى ثم قال ياموسى ألا ان رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه ❊ وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر احدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وادناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده ان يسقيه ماء فلما اتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة فى يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لى اما بلغ منها الكبر انها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وانت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت اكبس رجل امى وبات اخى يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى ❊ وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى ابن الحسين رضى الله عنه انك من ابر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف

ان

ان تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فاكون قد عققتها

(الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قلت لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى ان يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده ان يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله عنه انى لاكره نفسى على الجماع رجاء ان يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله عنه اكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شيبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى ان تطعم سبعة ايام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وان تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين اولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وارض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا أرضهم وان سألوا أعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له من الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائى انه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا ابصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعيا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى ان ألقى عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيأ الا احسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمرى افق وفرعين شامة * يزينهما عرف كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ما أبقى النبى محمد
يسدان انفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت اعز الله أمير المؤمنين احدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة واغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن الفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى ان يزيدهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على اهل الشرك ذلا وقمعا وأمّن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دنخل اخرج الله منه زق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه * وسب اعرابى ولده وذكر له حقه فقال يا ابتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقى عليك * قال سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله

احب بنيتى وودت انى * دفنت بنيتى فى قاع لحد
وما بى ان تهون على لكن * مخافة ان تذوق الذل بعدى
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهمّ عندى
وان زوّجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدّى
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت احب الناس عندى

وقال هارون بن على بن يحيى المنجم

ارى ابنى تشابه من على * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

وقال ابو النصر مولى بنى سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوى

* قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوّام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بنى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما الذ ريقى

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد

اهـ كذا

اهكذا كل ولد * ام لم يلد مثلي احد

وكان اعرابي يرقص ولده ويقول

احبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بدا له

* وكان لاعرابي امرأتان فولدت احدهما جارية والاخرى غلاما فرقصته امه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * انقذني العام من الجوالي

من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي ان تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الغاليه

وترفع الساقط من خمار يه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه

ازرتها بنقبة يمانيه * انكحتها مروان او معاويه

اصهار صدق ومهور غاليه

* قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة الف مثقال وقال ان امها حقيقة ان لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله اعلم

*(ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق) * قيل نظر اعرابي الى ولد له قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في اي سورة انت فقال لا اقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد * فقال لعمري من كنت انت ولده فهو بلا ولد * وارسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا ابت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع ابيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال الا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعنو فالتفت ابو حمزة اليه وقال يا حمزة الا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حمامير الله فأي حمزة تعنو فقال له ابوه ليس يعنوك يا من أخمد الله به ذكر ابيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فارسله في حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

فاجابه

مشبه بك يا أبي * ليس عنك منتقل

* ونهى اعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

امن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لى الخمر
سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبى عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر.

*(ومما جاء فى صلة الرحم) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام اساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجل الخير ثوابا صلة الرحم (وحدثنا ابو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن ابى مروان عن ابيه عن كعب الاحبار أنه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك ازد فى عمرك وايسر لك فى يسرك واصرف عنك عسيرك * وعن ابى امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها اصولكم فتصلوا بها ارحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من احزم الرأى وافضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس اشرف فقبض قبضتين من تراب وقال اى هاتين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم * كان ابو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل امه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة اكرم كريمهم وعد سقيمهم واشركهم فى امورك ويسر عن معسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك

ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده * قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بانك لم تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

* (الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم واحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما اشبه ذلك وفيه فصول) *

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال * كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة ادعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة ازهر الجبين واضح الخدّ أقنى الانف كان عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره اشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس انور المتجرد اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة او بيض حمامة لونه كلون جسده ابلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء اجمل الناس وأبهاهم من بعيد واحسنهم واكملهم من قريب كانما منطقه خرزات نظم يتحدّرن * قال انس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان ابن ثابت رضى الله عنه فقال

واحسن منك لم ترقط عينى * واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

اللهم صلى وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا ان يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وابهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من احسن الناس وجها (حكى) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد

تشقق اذا مسه الندا وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله عنهم من اجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن ابى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا اكف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ماقيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة او اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين * قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه اسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبى

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله ايضا

لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وقال الصفدى

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على اقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومدّ عليه فرعا * لحظى حين اطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

ارخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى

يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشي بليل ذوائب * لها من محيا واضح تحته فجر
يغطي عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل في الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلي

وعهدي بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وما ضره نار بخديه الهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقي وقلبي يشرب

وقال آخر

حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتي بين محلول ومعقود
وأسكرتني ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل في مدح العذار) قال ابو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتاري * وساعدني البكاء على اشتهاري
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري
ولم اخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشي خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

اصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

اصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

يا ذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندى ان لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدمامينى

تحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

سيدى ابو الفضل ابن أبى الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحما

وقال ابن نباته

و بمهجتى رشأ يميس قوامه * فكانه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

قال الموصلى

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

اصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شانه

وقال آخر

ياصاح قد حضر المدام ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاسي

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

ومما قيل في ذم العذار قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كانه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرأ وجاءكم النذير

آخر في ذمه

قلت لاصحابي وقد مر بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا اهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كانما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لي بكل ألية * أن لا يزال مدا الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا اسواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى في لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزاني الهوى في جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة اجنادها اعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

وقال آخر

ايا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح في صباح في صباح

(ومما قيل في العيون) قال الاصمعي ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف احمد بن الرقاع في قوله

وكأنما دون النساء اعارها * عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت * في جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشاءي بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الاخطل

ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها ابدا رحالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال ابو فراس واحسن

وبيض بألحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جاذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه *
* قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
* يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه *

وقال أبو هفان

أخو دنف رمته فأقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فواتك لا نقال سوى احورار * بهن ولا سوى الاهداب ريش
اصبن فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به اعين الانس

عز الدين الموصلي

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت *
وحاكت في فعائلها المواضي * فيا لك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطي.

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فاتي السيف والسنان وقالا * حدّنا دون ذاك حاشا وكلا

وله أيضا

بأبي اهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال الشيخ عز الدين الموصلي

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وانت ياوجنتيه * لاتحرقيني بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدي

* ياعاذلي على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم اجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه.

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهي مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل في الخال) للصلاح الصفدي

بروحي خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه

كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

* بروحى افدى خاله فوق خده * ومن انا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من اخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

للشيخ جمال الدين ابن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بان الخال لا يرث

وقال آخر

ياسالبا قمر السماء جماله * البستنى فى الحزن ثوب سمائه
احرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

للشيخ تقى الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
* حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسن بن الضحاك

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
* فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
* شئ اسر به وأعلم انه * وحياته احلى من اللذات *

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد *

وقال آخر

انفقت كنز مدامعي في ثغره ❊ وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة ❊ فمضى وراح تغزلي في البارد

وقال آخر

رأى ثغر من أهوى عذولي فقال لي ❊ ولم يدر ان اللوم في خده يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه ❊ واحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن رسلان

لاحت على مبسمه المشتهى ❊ ثلاث شامات غدت في التئام
لا تعجبوا ان كثرت حوله ❊ فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل في طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة ❊ عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه ❊ زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردي

ذكرت ريح حبيبي ❊ بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب ❊ فالشيء بالشيء يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا ❊ ولم يكن لي صبر
وسوف احظى بوصل ❊ فأول الغيث قطر

الصلاح الصفدي

نقل الاراك بان ريقة ثغره ❊ من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه ❊ يرويه نصا عن صحاح الجوهري

وقال آخر

ثلاث تجمعن في ثغرها ❊ ملاح ادلتها واضحه ❊
فان قيل ماهي قل لي اقل ❊ هي الطعم واللون والرائحه

وقال آخر

يارب ممتنع الوصال محجب ❊ بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه علي وكاسه ❊ فسكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك ام رحيقا ❊ رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء اسماء ولكن ❊ جهلت بان في الاسماء ريقا ❊

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى

ولما التقينا والتقاموعدلنا ❋ تعجب راءى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ❋ ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سالم الخاسر

ظللنا فبتنا عند أم محمد ❋ بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا اصمتت عنا ضجرنا الصمتها ❋ وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومى

يمسى ويصبح معرضا فكانه ❋ ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له ❋ درّ يساقطه الى لسانه

وما احسن هذه الابيات وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الاحديثها ❋ رجيع وفيما احدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء وأعين المها ❋ ذروار تحت بهن الروادف
رجحن بأرداف ثقال وأسوق ❋ جذال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء ❋ فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت ❋ بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها ❋ الى ماء عتيد فى اناء ❋
فلما ان قضت وطراوهمت ❋ على عجل الى اخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان ❋ فأسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل ❋ وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

❋ تغير عن مودته وحالا ❋ وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى ❋ فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا ❋ اذا ماحركته خطاه مالا
❋ اذا كلمته أثرت فيه ❋ وان حركته فالخمر سالا

وقال بشار

وماظفرت عيني غداة لقيتها ❋ بشئ سوى اطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة ❋ يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

ومنه اخذ أبو نواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة ❊ فابصرت وجهى فى وجهه

وقال آخر

❊ توهمه قلبى فأصبح خدّه ❊ وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
ومرّ بفكرى جسمه فجرحته ❊ ولم ار جسما قط يجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر ❊ به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضجت خدّاه من ماء ورده ❊ وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقال آخر

وأهيف قدّه كسى احمرارا ❊ وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو اخجلته بالقول جهدى ❊ لحمرة خدّه ما بان فيه ❊

ومما قيل فى التقبيل لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته ❊ وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب ❊ لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته فى ثغره قبلة ❊ فقال ثغرى لم يجز لثمه ❊
فها كها فى الخد واقنع بها ❊ ما قارب الشئ له حكمه

وقال صاحب جماه

قال الذى تيمنى ❊ قولوا لمن خبلته
يروم منى قبلة ❊ لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلى

كالزرد المنظوم اصداغه ❊ وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته ❊ فى الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه ❊ فلم ادر ايهما انور ❊
سوى ان ذاك بعيد المزار ❊ وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر ❊ وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا ❊ ونفع الحبيب لنا اكثر

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خدّيه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسي

وقال آخر

قبلت رجل حبيبي * فازور واحمرّ خدا
وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوي * حقوقها الا تؤدّى

ومما قيل في الوجه الحسن ابن نباته

انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغييم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن أبي خبيص

تصدّ من غير علة * بالعز أضحت مذله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله
وان اضاءت بليل * تفوق نور الاهله

وقال آخر

اقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمي مكان البدر ان افل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمرو بن أبي ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
* أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

أخذ ابو تمام هذا المعنى فردّه الى المدح فقال

لو أن اجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

وقال آخر

ففى اربع منى حلت منك اربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فلما سمعه اسحاق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال

وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى فمى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

محمود المخزومى

رأيتك فى الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عينى ابهى من الشمس
لانك تزهوان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضئ اذا تمسى

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * ويكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

ومما قيل فى البنان المخضب قال ابن الرومى

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع واربع وثلاث * أسرت قلب صبها المشتاق
قلت من انت يا غزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
* لا ترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضى بالله

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها * فى خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

ولما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

* ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم

فقالت وأذكت فى الحشا لاعج الجوى * مقالة من بالودّ لم يتبرم

بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى فاحمرّت بنانى من دمى

وقال آخر

دنون عشية التوديع منى * ولى عينان بالدم تجريان

فلم يمسحن اكراما جفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

ومما قيل فى النحور قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهى بالعيون وبالنحور

نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

ومما قيل فى نعت النهود قال العباس بن الاحنف

والله لوأن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد

جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك

وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين فى حسن مسلك

فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممعك *

وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفكك *

عمر بن كلثوم

تراك اذا دخلت على خلاء * قد امتدت عيون الكاشحينا

لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا دركانهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم

صانتهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

وقال آخر

صدور فوقهنّ حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق

تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلى من هذا الحقاق

وما تلك الحقاق سوى ثدى * جعلن من الحقاق على وفاق

نواهد لا يعدّ لهنّ عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود

وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من اسنتها النهود

ومما قيل فى الارداف والخصور قال ابن الرومى

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

الطنبغا المحاربى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

يا خصره كم جفا * تبدى وأنت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما انت الا بخيل

القيراطى

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى
فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحينى

وقال آخر

اسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار بحلته * الى معصمى لما تقلقل فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
اقسى من الحجر الاصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى البرى قضبا خدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقد ابعد ذلك واعتدالا

ومما قيل فى المعاصم قال عمرو بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

ومما قيل فى اعتدال القوام قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لأحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع

جودة السبك ورقة اللفظ مالذى الرمّة حتى كانه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم وملْ يامعذبى ❊ كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها ❊ فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ومحكم أعطافه ❊ فى قتل صب ما غوى
فاعجب لعادل قدّه ❊ فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل ❊ يوما الى فصحت من الم الجوى ❊
لم لا تميل الى يا غصن النقا ❊ فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

ومما قيل فى الساق قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا ❊ عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى ❊ ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق أبيض أملس ❊ كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى ❊ وقامت الحرب على ساقها

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب ❊ ظبى ولكنه أنيس
ان لم يكن قدّه قضيبا ❊ فما لأعطافه تميس

ومما قيل فى مشى النساء قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة ❊ هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز ردينى تداوله ❊ أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

وقال آخر

يمشين مشى قطا البطاح تأودا ❊ قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة ❊ يقلعن أرجلهن من أوحال

ومما قيل فى العناق وطيبه لابن المعتز

ما اقصر الليل على الراقد ❊ وأهون السقم على العائد
كانى عانقت ريحانة ❊ تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى ❊ حسبتنا فى جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه ❊ وأعرته من ساعدي وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه ❊ وأمال أعطافا على ملاحا

وقال ابن المعدل

أقول وجنح الدجى مسبل ❊ والليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد ❊ فلله ما ضمنا المسجد
أيا غد ان كنت لي محسنا ❊ فلا تدن من ليلتي يا غد
ويا ليلة الوصل لا تقصري ❊ كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تظلمت ❊ كواكبه من بدره المتألق ❊
لهونا بغزلان الصريمة تحته ❊ تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل ❊ مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة ❊ من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعدولة مهما أمالت ازارها ❊ فغصن وأما قدها فقضيب ❊
لها القمر الساري شقيق وانها ❊ لتطلع أحيانا له فيغيب ❊
أقول لها والليل مرخ سدوله ❊ وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا زين كل مليحة ❊ وأنت الهوى ادعى له فأجيب ❊

وقال علي بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة ❊ وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ❊ من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

يا ليل دم لي لا أريد براحا ❊ حسبي بوجه معذبي مصباحا
حسبي به نورا وحسبي ريقه ❊ خمرا وحسبي خده تفاحا
حسبي بضحكه اذا استضحكته ❊ مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد ❊ وجعلت كفي للشمام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فخلنا ❊ متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمى للحبيب على رضى * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

ومما قيل فى مدح السواد قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال الحيقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون بيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * او اسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهـــم ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

وقال آخر

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها وقال آخر

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

وقال

وقال آخر

فاستحسنوا الخال في خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدني ينشد

ومن يك معجبا بنات كسرى * فانى معجب بنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح وقد قال الشاعر

أحب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

أشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعده

لاشك لونكما واحد * وانكما طينة واحده

ومما قيل في الصفرة قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالي كان الود منك مباحا

كأن نساء الحي ما دمت فيهم * قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة في ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

ومما قيل في طول اللحية قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيباني الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك في مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن في كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لاصبح في حافاتها الحمنان

وقال اسحاق بن خلف في قصير طويل اللحية

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والد يمشي بمولود

ما طول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقنع

تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

ومما جاء في عظم الخلقة والطول والقصر قيل خرب القهندر فبرزت منه جماجم اموات فتهدمت جمجمة فانتثرت اسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فاتى بها

الى ابن المبارك فجعل يقلبها و يتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

وأراد ملك الروم أن يباهي أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وكيلا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود

واني من القوم اليمانيين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد في قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي اسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير أطلق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد أعيا اباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان ومما قيل في القبح والدمامة أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض اصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر أبو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك الي لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ

ولو أن مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كاعظم واعظ

وقال

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت يا هذه أترضين أن تكوني تحت هذا فقالت يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه واسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضي الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال يا حبيبي ما أراك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها احسن منه وجها فقال

لم أر وجها احسنا ❊ مذ دخلت اليمنا

فيا شقاء بلدة ❊ أحسن من فيها انا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت اني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف اربعين سنة وقال الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف ❊ كجدار قد أدعموه ببغله

وهو كالقبر في المثال ولكن ❊ جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف أنوف ❊ أنفت منه الانوف

أنت في القدس تصلي ❊ وهو في البيت يطوف

ومما جاء في الثقلاء قال مطيع بن اياس

قلت لعباس أخينا ❊ يا ثقيل الثقلاء

انت في الصيف سموم ❊ وجليد في الشتاء

أنت في الارض ثقيل ❊ وثقيل في السماء

ومما جاء في الملابس وألوانها والعمائم ونحوها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدّث وقال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا اجمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن

المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهره وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

ومما قيل فى لبس السواد قول ابى قيس

رأيتك فى السواد فقلت بدرا * بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا اسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى

فى ثوبها الخمرى قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة اخضر

وجارية ادبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت فى قميص لها * كاستتر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فاندت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك ان تلبس ما يديم الملك نظره اليك به * واعلم ان الوشى لا يلبسه الا الاحمق اوملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه أدخل على عاقلا فاتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البرد وقيل كان

لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهرة وتكة من انابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال افلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كانها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا امير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه قال الاصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدنى ابياتا وروى اخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخى ان الحادثا ❊ ت عركننى عرك الاديم
لا تنكرن ان قد رأيــــت اخاك فى طمرى عديم
ان كان اثوابى رثا ❊ ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله

❊ على ثياب لو تقاس جميعها ❊ بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ❊ نفوس الورى كانت أجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده ❊ اذا كان عضبا حيث وجهه برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشد

ترى الرجل النحيف فتزدريه ❊ وفى اثوابه اسد هصور ❊
ويعجبك الطرير فتبتليه ❊ فيخلف ظنك الرجل الطرير
❊ لقد عظم البعير بغير لب ❊ فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بغير وجه ❊ ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ❊ فلا عار عليه ولا نكير ❊
فان الك فى شراركمو قليلا ❊ فانى فى خياركمو كثير ❊

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها ❊ وعليك من مهن الثياب لباس

اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما اشبه ذلك

ماجاء في التختم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفا بعده فنقله معاوية رضي الله عنه الى اليسار واخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى ايام الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليسار واخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب احد كم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرءا عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان احدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل في فمه قال جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف والله اعلم

(ذكر ماجاء في الحلي) قيل ان قرطي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد بعثني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القشيري اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما اعظم من ان يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه

جوهرة

جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ما جاء فى الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله عنها قالت كأنى انظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن انس رضى الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من اطيب الطيب وعن عمر رضى الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطران فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم انفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من اخته هند بنت اسماء فقال علمينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا افعل تريد ان تعلمه جواريك هو لك منى كلما اردته ثم قالت والله انى ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

اطيب الطيب عرف ام أبان * فار مسك بعنبر مسحوق

قال ابو قلابة كان ابن مسعود رضى الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن ابيه قال رأيت ابن عباس رضى الله عنه يطلى جسده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن ابيه قال رأيت ابن عباس رضى الله عنهما حين احرم والغالية على صدغيه كأنها الربة وقال ابو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لى لكان رأس مالى وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبى الرائحة الطيبة تزيد فى العقل وقال على كرم الله وجهه تشمموا النرجس ولو فى العام مرة فان فى قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبى يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضى الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل ان يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف فى طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة واقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكاذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شئ نثره البحر واما العود فأجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب اسبوعا فلا يقمل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضرب به الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار واما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر والبان

لو كنت احمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب انى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب ايام الورد وكان المتوكل يلبس ايام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تتقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئه والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل تبخر بعض الامراء وعنده أعرابي ففرطت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ماشممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الاريح كفك اطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❊(الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية واخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول)❊

(الفصل الاول في الشباب وفضله) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال مابعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذقال موسى لفتاه وقال انس رضي الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن اسيد ولاه مكة وبها اكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء واكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا ❊ من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ مابكت على الشباب ولولم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا الوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شابا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امرد ابناء ثلاثين وقد جاء في ذلك اشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) اول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له مايبكيك يارسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهولا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الامة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه

وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني و يقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز ابن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيء الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب

ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب *

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار

والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار *

وقال ابو دلف في بياض اللحية

تكونني هم لبيضاء نابته * لها بغضة في مضمر القلب ثابته

ومن عجب اني اذا رمت قصها * قصصت سواها وهي تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغواني * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظللت اطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يابني اني اعطيتها بغير ثمن ومر رجل اشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فأعلمينا فقالت كانك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني احببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني فأنشد و يقال انه لابن المعتز

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي * فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر

* سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم

* فأعرضت وتولت وهي قائلة * لا والذي أوجد الاشياء من عدم

ما كان لي في بياض الشيب من أرب * أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

وقال

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما انكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما اقبح التفريط فى زمن الصبي * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فأصلتا * بسيفيهما فالشيب لا شك غالب

وقال آخر

الا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبى

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال على بن ربيع

كبرت ودق العظم منى وعقنى * بنى وزالت عن فراشى القعائد
واصبحت أعشى اخبط الارض بالعصا * يقودنى بين البيوت الولائد

وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظونى وا كتفوا بمشيبى

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله ما شبهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط قال الشاعر

شيأن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء فى الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم واعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارى رضى الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه (بيت)

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا لو دام فقال

ولو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
* تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نبيلة أو هرم *

وقال آخر

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد * فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فما منك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع

والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة في الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضي الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة في مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومي

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
* فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأي وطاء وأي غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضي الله عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ها هنا اذهبي معي الى البيوت التى فيها انواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر احب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومي خنزير فربطه الى أسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومي أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى في خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب (الفصل الرابع في أخبار المعمرين في الجاهلية والاسلام) قال الحسن رضي الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا في الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت اربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية وستين في الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت في سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة في أثر ليلة ويوما في أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت

وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة واما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما واما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعدّ من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير ابن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معدى كرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام ❊ وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وأن امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

❊(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)❊

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ دعاء أوّله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما اثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة

والسلام

والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة اسماء من اسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء واما الاسماء والكنى ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة ❊ وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ❊ ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له اسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل اى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال ابو هريرة رضى الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت احملها فى حجرى فألعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله عنه كنية الدجال أبو يوسف ❊ ذو الشهرة ابو دجانة الانصارى رضى الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين ❊ ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان ❊ هديتى فيه اللسان
لك دولتان حديثة ❊ وقديمة ورياستان
لك فى الورى من هاشم ❊ نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنت ❊ فصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا ❊ المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونغيم بن مرة والحارث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا ❊ شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه ❊ يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مرّ به في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى * سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أوّل من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر رضى الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل الكامل سعد بن عبادة رضى الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم طلحة بن عبد الله رضى الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه رشح الحجر ابو الوليان عبد الملك ابن مروان لقب بذلك لبخله وبخره عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله عنه الحبر عبد الله ابن عباس رضى الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرّة الحبر ومرّة البحر الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان اول من غنى من خزاعة راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع الجنائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى أبو عمر الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

اكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والاقطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل

بل

بل هو محتوعلى ما يضادّ الدين و ينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمرالله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فساد نا و يوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم والده والمرأة كذلك وا ذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه أبو تراب وذلك انه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرّغ فى التراب فقال له أجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه و كقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس وابى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب الحيرة يكنون بأسماء بناتهم كابى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بابى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معدى كرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ابو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له فى المجالس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدّق الرؤيا

وفيه أيضا

يا سمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

ولبعضهم فى مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
اظنهم سرقوك القاف معى قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وفيه أيضا

ماعليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * اخطأوا اما أنت الاقمر

ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنا * فأجابنى عثمان ذو النورين

ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف

يامن سبى الشعراء غزل عذاره * النجم يشهد لى بانى مدنف
صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

للصفى الحلى فيمن اسمه داود

وثقت بأن قلبى من حديد * وفيه على الهوى باس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض فى سواده * وآية ذا سواد فى بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله فى الحقب المواضى

وللقيراطى فى مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الانام امامنا الحبر الذى * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير فى بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير فى الدنيا بغير خليل

وقال

وقال آخر في مقبل

يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسال
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم في مليح اسمه محسن

واهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها *
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها

صفي الدين الحلي في اسم حسين

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
واعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد *

ومما قيل في اسماء النساء في فاطمه

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه *
وتنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

ابن مكانس في اسم عائشه

يا دهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
* ايحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه

شمس الدين البديري في اسم حليمة

* ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه *
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن اين تدرى الجور وهي حليمه

ولبعضهم في اسم بركة دوبيت

لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب تنبه ولا تمل للشركه * تغنيك سنينا ساعة من بركه

مردوف ايضا

لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق
ياقلب تنبه ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق
تغنيك سنينا ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق واسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث

على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه

أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الاثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

الا خلنى امضى لشانى ولا اكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم اكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى اجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم وقيل أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفى الارض عن دار القلى متحوّل * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هى الا بلدة مثل بلدتى * خيارهما ما كان عونا على دهرى

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفى الحلى

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففى

فني الارض احباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

وقال عبد الله الجعدي

فان تجف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن احبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالي مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون اليل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ماليه سبيل

وقال الشاعر

* وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا *
* تهيم ولا تدرى الى أين تبتغي * مولهة حزنا تجوز الفيافيا *
* أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا *
اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادى البين ان لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت احبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

* لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا
* ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ماشاء مجتهدا * فلا زيادة شئ فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال عمر بن احمد

انى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد

من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الأكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له احسنت فأومى بيده الى حجر يرمينا به وقال ألمثلى يقال احسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى انشدكم فان انا احسنت فقولوا احسنت وان أنا أسأت فقولوا اسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنوا الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * نادت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى لنودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم انقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له مانوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بان القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر بسيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان اومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قسا قسا اوبطار يقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
عبيت اجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجدبنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
اشارت باطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع

فقلت

* فقلت لها والله مامن مسافر * يسير ويدرى مابه الله صانع *
فسالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
* وقالت الهى كن عليه خليفة * فيارب ما خابت لديك الودائع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

وقال البغدادى

قالت وقد نالها للبين اوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه واضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كانى يوم ولت حسرة واسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

وقال ابن البديرى

قفا حاديا ليلى فانى وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطاياها قبيل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقنى فى نظرة واسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا انا مشوق وشائق

وقال ايضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع
وخالفت لوامى عليها وعذلى * وحالفت سهدى والخليون هجع
ولم استطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى اسى من حرها يتقطع
فقال خليلى اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
* فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

وقال آخر

* ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

ياسادة في سويد القلب مسكنهم * وفي منامي اري أني اعانقهم
اوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا ان نفارقهم

وقال آخر

لوان مالك عالم بذوي الهوى * ومحله من اضلع العشاق
ماعذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردي

دهرنا اضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
ياليالي الوصل عودي * اجمعينا اجمعينا

وقال الشريف الرضي

عللاني بذكرهم واسقياني * وامزجا لي دمعي بكاس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني * قدخلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا اترقد اذغبنا فقلت لهم * نعم واشفق من دمعي على بصري
ماحق طرف هداني نحو حسنكمو * اني اعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلي

فسدت لطول بعادكم احلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قدوعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل في البكاء قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

أرحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لاتسل * عن حالها ياما جرى

وقال آخر

ان عيني مذغاب شخصك عنها * يامر السهد في كراها وينهى
* بدموع كأنهن الغوادي * لاتسل ماجرى على الخدمنها

وقال آخر

يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين *
وانت يا دمع ان ظهرت بما * اخفيه من قلبي سقطت من عيني

وقال آخر

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما غدا كالبحر سرعة سيره *
فحبسته لاصون سرهوا كمو * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق اجرى دموعي * حسرة اذ قضى الفراق ببيني
قيل كم ذا تجري دموعك تعمى * اوقف الدمع قلت من بعد عيني

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
اجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا *

وقال آخر

* ولم أر مثلي غارمن طول ليله * عليه كان الليل يعشقه معي *
ومازلت ابكي في دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض ادمعي

وقال الموصلي

عين افاضت دموعي * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

وقال آخر

ومافارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادي ان ابتليتهم بفراق الاحبة ومما جاء في الحنين الى الوطن) اما محبة الوطن فستولية على الطباع مستدعية اشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد اعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله عنه

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد ان تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة

(ومن حب الوطن ماحكى) ان سيدنا يوسف عليه السلام اوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع اهل مصر اولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر ابائه فقبره بالارض المقدسة واوصى الاسكندر رحمه الله تعالى ان تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابورذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فأتته بعد ايام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة ارضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة ارضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
وتستعذب الارض التى لا هواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على اصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحاق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وانا اقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام (ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ماضاقت بلاد باهلها * ولكن اخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفايه * واسأل الله تعالى التوفيق والهدايه * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به امانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى اذا وقيت الاواقى * بالاواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يا بنى اكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمرّ من الفقر فان افتقرت فلا تحدّث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسئل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سال الله فلم يعطه اودعاه فلم يجبه أوتضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم اعذب من الماء * وارفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطأه صواب * وسيئاته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجلسه * ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه أن قدم ولا يسال عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه * وان غضب صفعوه * مصافحته تنقض الوضوء * وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسى فلم أجد لها اروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة امرّ من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرنا اغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوى ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح الليالى مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك ان المرء فى حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب *
ومن يغترر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وماضرنى ان قال اخطأت جاهل * اذا قال كل الناس انت مصيب

وقال آخر

الفقر يزرى باقوام ذوى حسب * وقد يسوّد غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ومارفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يمشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه ابوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت اذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت انيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب انواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب *

وقال آخر

ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب

وقال الكنانى

اصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال

وقال الزمخشري

واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار

* وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار *

قال الثوري رحمه الله تعالى لان اخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الى من ان احتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل

وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(واما ما جاء في الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغي لصاحب المال ان يحترز و يحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتمسين (فاما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى ان يانسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى ان يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى ان يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط ان لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان امره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه و يقول هذا رابانى فان روعي صاحب المال وفق بينهما على ان يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطلعه على البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال ادنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لى علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب ان يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك انهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان ما يلجئهم الى ذلك الاعدم

الامكان وتعذر المكان فنهم من يكون شوقه الى ان يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لما قيمة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط ان عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال امارات من ردم وحجر ويأتون الى اصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على ان المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى ان ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (واما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم اكثر غررا وذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وامانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقي مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال ان لا يغفل عنه (واما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال انه يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالي اذا أنفق او اكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له انت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته اكل واطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى ان تطعمه والامات وانا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد

فيه رغبة الى ان يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده. (واما المتنمسون) فهم أهل الرياء المتظاهرون بالتعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الاموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال ويمشون الى ابواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه بأحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا واكثر أغراضهم ان تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهاداتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء باهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمّله ❊ حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير افقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى ❊ وان الغنى يخشى عليه من الفقر

واوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

النـاس اتباع من دامت له نعم ❊ والويل للمرء ان زلت به القدم

المـال زين ومن قلت دراهمه ❊ حى لكن مات الا انه صنم

لما رأيت اخلاى وخالصتى ❊ والكل مستتر عنى ومحتشم

ابدوا جفاء واعراضا فقلت لهم ❊ اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى ان أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودى فاعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده واصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية

فى اثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلها شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
ياأيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم اقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم ازرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم ان القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة اشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شيآن اذا انت حفظتهما لاتبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروءة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف ان أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن

ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من
الفرس انا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبي وقاص
فاعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة الاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت
الترك الى عبد الله بن زياد بخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون
فلما هزمهم الله تعالى اعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى
فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع
وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس
بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف
ألف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر
مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت
لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر
والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار
فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا واولانا
جميلا أدع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار موجود عماد الدولة فى قبضة
أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر
مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان
العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب
وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر
ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك
بعد وفاته احد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا
مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن امير
الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار
ومن الدراهم مائة وخمسين اردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب
قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها
مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه
اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف
خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق
مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف
زبدية فضة . كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا

بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الارادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء مالا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا والفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة بعمل المغرب وثلثمائة ثور ذهبا وأربعة آلاف ثور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ماملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرّذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام مايباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوءة من الحبوب مالا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم امسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه وضع للقولنج فلما اخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه.

قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا ❋ أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت انا هذا البيت وقلت

ايامن عاش فى الدنيا طويلا ❋ وافنى العمر فى قيل وقال

واتعب نفسه فيما سيفنى ❋ وجمع من حرام او حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا ❋ أليس مصير ذلك للزوال.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❋(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)❋

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل ابو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن امن الاغنياء انا ام من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ماتتعشى به قال نعم قال فاذا انت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالى ماله ولا لاهله عشاء

وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى ان يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرّعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكته ادنوا الى احبائى فتقول الملائكة ومن احباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين احبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد احسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد احسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله تعالى لابره اى لو قال اللهم انى اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة ابن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت احسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما اصنع بهذه قال انفقها على عيالك فهبته والله ان اردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة احسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر ان الدهر يهدم مابنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما اسدى
فمن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوبا فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت ان تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهب الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله واجد

وقال هارون بن جعفر الطالبى

* بوعدت همتى وقوربت مالى * ففعالى مقصر عن مقالى *
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالى
* ولقد تعلم الحوادث انى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فما احسن الفقر وما اكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك ياأرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

روى الامام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا واتى اعرابى الى على رضى الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال ياقنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر ياأمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال ياقنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية ابسط من لسانى بالمسألة فقال

لحاجبه

لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضى الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى اتيتك عام اول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله واكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * ارض العراق وانت ذووقر

* لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى *

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وابطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام *

* فأتينا كم نمدّ أكفا * لالتقام من زادكم والطعام

فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * ايها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الاماد فعتم اليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابى بمكة واحسن فى سؤاله فقال اخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان

فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

اضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحالك الوصال

فاطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله عنه قال يا كميل مر أهلك ان يروحوا فى كسب المكارم * ويدلجوا فى حاجة من هو نائم * فوالذى وسع سمعه الاصوات مامن احد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا ان ينحر ويطعم وربما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروءته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

اري الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بني عقيل
طويل الباع ابلج جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفري بما نواه * على العلات بالماء القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية اني تركت قول الشعر فاجيبي الامير عني فقالت

اذا هبت رياح بني عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع ابلج عبشمي * اعان على مروءته لبيدا
بامثال الهضاب كان ركبا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها واطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني في ابن عتبة ان يعودا

فقال لقد احسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا ابت ان الملوك لا يستحيا منهم في المسألة فقال والله لانت في هذا أشعر مني ووفد رجل من بني ضبة على عبد الملك فانشده

والله ما ندري اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذي نتطلب *
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا * اولا فأرشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروي لينا زعني وان الحياء يزعني فأمر له بألف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتني مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع اعزمن بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروي ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فقال له سلني حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد اقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع عامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسألة بعد مسألة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه

(وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن اكثم يوماسر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل اقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ماقلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى ابن اكثم وقال اما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وانا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة اسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل اقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع امانعم مثمرة واما لا فمريحة فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر الف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه انفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاجمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ماقال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم انشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن ان يباسطه فقال يامطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره

اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأهما معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

* هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى اردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت اعطانى كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل *
* فاختر لنفسك ما أقول فاننى * لا بد أخبرهم وان لم اسأل *

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
اعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا ايدينا و كنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوت الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

اذا ما رماك الدهر فى الضيق فانتجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده
* ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش

غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرله من ان يأتى رجلا فيسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولونال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال احمد الانبارى

لموت الفتى خيرمن البخل للغنى * وللبخل خيرمن سؤال بخيل
لعمرك ماشئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سالم الخاسر

* اذا اذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال احب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم

وفى هذا المعنى قيل

* لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أوراغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

* وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذى * نرجيه باق فلوذى ببابه

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لعجبى ماوجدتهمو * لجأت لله لبانى وأغنانى
واها على بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا اقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وانا افزع منك ويقال لا شئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

* بلوت بنى الدنيا فلم أرفيهم * سوى من غدا والبخل مل ءاهابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجاءى منهم بذبابه
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه * ولا ذ ايرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الاعن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له مالم يكن فى حسابه
* فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
* فعما قليل وهو فى غفلاته * اناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

* لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
* واستغن بالشئ القليل فانه * ماصان عرضك لا يقال قليل.
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت مافى كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا اعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد *

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلى * انما الموت سؤال الرجال
* كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعى رضى الله عنه

قنعت بالقوت من زمانى * وصنت نفسى عن الهوان
خوفا من الناس ان يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا ابالى اذا جفانى *
ومن رآنى بعين نقص * رأيته بالتى رآنى *
* ومن رآنى بعين تم * رأيته كامل المعانى *

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن اهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية و يثيب عليها ماهو خير منها ❊ وفى الاثر الهدية تجلب المودّة الى القلب والسمع والبصر ❊ ومن الامثال اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ❊ ولا دفعت المغارم ❊ ولا استميل المحبوب ❊ ولا توقى المحذور ❊ بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أتاه الله رزقا من غير مسألة وردّه فكانما ردّه على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردّها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسألة فانما هو رزق ساقه الله اليك ❊ وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهاداه ❊ طى المعاداه ❊ ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية اشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند ❊ وجارية من ملك الترك ❊ وفرس من ملك العرب ❊ وجوهرة من ملك الصين ❊ واستبرق من ملك الروم ❊ ودرة من ملك البحر ❊ وجرادة من ملك النمل ❊ وذرة من ملك البعوض ❊ فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون اهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور واهدت قطر الندا الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار ❊ وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين

يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم ✽ وأهدت تريابنت الاوبارى ملكة افرنجة وماوالاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها اشبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها واهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين واربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) ان الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء ✽ وأعقب بالسلامة والشفاء
واصلح حاله من بعد شرب ✽ بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد انفذته ✽ اليه بزورة بعد العشاء ✽

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

اهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا ✽ فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ✽ سمو قدرك عن شئ يدانيه ✽
لم ترض بالارض يهديها اليك وقد ✽ أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن او أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل ان أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرءا أهدى الى صنيعة ✻ وذ كرنيها مرة لئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت ان تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا ✻ وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال

حجوا مواليك يابرهان واعتمروا ✻ وقد أتتك الهدايا من مواليك

فأطرفينى بما قد اطرفوك به ✻ ولا تكن طرفتى غير المساويك

ولست اقبل الا ما جلوت به ✻ ثنيتيك وما ردّدت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد اهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى ✻ بعثت بما يقل العبد عندك

واهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة ✻ وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدره ✻ وفى سودده ما يوجب التفضل ببسط المعذره ✻ وقد وجهت ماحضر علما بانه لا يستكثر ما جل ✻ ولا يستقل لعبده ماقل ✻ فان رأى ان يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم ✻ قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها

وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة اشياء تدل على عقول أربابها ✻ الكتاب يدل على عقل كاتبه ✻ والرسول يدل على عقل مرسله ✻ والهدية تدل على عقل مهديها ✻ والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما اشبه ذلك)

أما العمل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قليل مداوم عليه خير من كثير مملول ✻ وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق ✻ وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل ✻ وعن على رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما ينفى عنى حجة العلم قال

العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوء أعطاهم الجدل ومنعهم العمل * وأنشد بقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشد وافى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر *
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت اقاصيه وهان اشده

وعن أنس رضى الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان و يبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل * واما الكسب فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسألة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال اصبح مغفوراله وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشدّ من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ها هنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقعدنّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة * وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت * قال بعضهم في السعي

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * أن الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان اول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهيني وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال واما ما جاء في العجز والتوانى فقد روى عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى اله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وامدّه من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعي رضى الله عنه أحرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة * والكسل شؤم * وكلب طائف خير من أسد رابض * ومن لم يحترف * لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال ابن العلا الرفا هذين البيتين

من جملة ابيات

كان التوانى انكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيا ثم قال لها اتكى * فانكما لابدّ ان تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب

ألم تر ان الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب *

ولو شاء ان تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروءة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم ان تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى انشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالا بدّ منه ومرّ رحمه الله باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

اعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه

ذرينى واهوال الزمان أقاسها * فاهواله العظمى تليها رغائبه *

أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه

وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه *

وليس بعجز المرء اخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر *

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * فحق على المعزى بان تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * واما التانى فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب وقد قيل من نظر فى عواقب الامور * سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق

أعطى حظه من الدنيا والآخرة * وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه * ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم * واذا استوضحت فاعزم * وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة * ويد العجلة تغرس شجرة الندامة * وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة * والعجلة مفتاح الندامة * وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فبماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك * خير من عجلة فى عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال من تمنى * والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة * لان صاحبها يقول قبل ان يعلم * ويجيب قبل ان يفهم * ويعزم قبل ان يفكر * ويحمد قبل ان يجرب * ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة * وجانب السلامة * وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة * وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط * ودقق الدروز * وقارب الغروز * فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه * واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها * ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافاة وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما اهلكت القرون الاولى لانهم اكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى

قال ماعلينا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان ازدشير بن بابك لا يرتضي لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هي العز والكرم ❊ وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة ❊ اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❊(الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)❊

(الفصل الاول) في شكوى الزمان وانقلابه باهله روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال مامن يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت ❊ وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخرله من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

اف للدنيا اذا كانت كذا ❊ أنا منها في بلاء وأذى ❊
ان صفا عيش امرئ في صبحها ❊ جرعته ممسيا كاس الردى
ولقد كنت اذا ماقيل من ❊ انعم العالم عيشا قيل ذا ❊

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما ❊ صرت في غيره بكيت عليه

ومثله

وما مر يوم أرتجي فيه راحة ❊ فأخبره الا بكيت على أمس

ومن كلام ابن الاعرابي

عن الايام عد فعن قليل ❊ ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشيء طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ❊ ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان بن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمري الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم في رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستغفيتها فات مكاني فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه اماته الله كما اماتني وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان حازمن الاموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق في كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤي بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو جالس في قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسماعيل مروان بن محمد ونزل في داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ في عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن

الا يا دار لا يدخلك حزن ❊ ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار تأوي كل ضيف ❊ اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت في الدنيا بصيرا فانما ❊ بلاغك منها مثل زاد المسافر

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه ❊ فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضي الله عنه بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس

وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها ❊ لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى ❊ ولقد كان آمنا مسرورا ❊

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش في وسط الماء وفي وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعي رضي الله عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر ❊ فقل له خير ما استعملته الحذر
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ❊ ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ❊ وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد في السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع في بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبي قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث الا انه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه ❊ فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر ❊ تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذي كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

الا قل للوزير فدته نفسي ❊ مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش ❊ ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أي الزمان أدركته أفضل وأي الملوك أكمل فقال اما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما واما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكرانه يبلي جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته ❊ الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يامعرضاعنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبدالله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلق كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من ان تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا أضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كان بسمعه عن سماع المواعظ وقرا وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل بيت

ما من مسئ وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الامين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر

من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة مابال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحو به
فقلت لها ها تى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللامير أبى على بن منقذ

أما والذى لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندى أشدّ وأعظم
وبى كلما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأيم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لردّ عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله اعلم (الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل اكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك اخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه الهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه اوكاد وفات المستعجل غرضه أو كاد وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين

الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فـازادني الاان قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
* انى رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر *
* وقل من جد في امر يؤمله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

فحفظتها منـه وألزمت نفسي الصبر في الأمور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا وهـم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الاحط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحاق بن عبـد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبة جدد الله له اجرها كيوم اصيب بها وروى عن على بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال احفظوا عني خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن احدكم الا ذنبه ولا يرجوا الا ربه ولا يستحي أحدمنكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم ان يقول لا اعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يارسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ياأبابكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يارسول الله قال فهذا ماتجزون به يعني جميع مايصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهـذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيـار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال ابو جهل لعنه الله ايكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيـه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم فاخذه واتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيـه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وانا قائم انظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله

عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعقبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضي الله عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيئات ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى ان أتى حبرا من احبار بنى اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها اين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد أذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى آثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من اين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرح عاجلا ومن احسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر ❊ عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى ❊ سئمت نفسك الحياة وملت
فاصبر وانتظر بلوغ الامانى ❊ فالرزايا اذا توالت تولت ❊
واذا أوهنت قواك وجلت ❊ كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجى

ان الامور اذا استدت مسالكها ❊ فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبه ❊ اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبى سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ❊ ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها ❊ وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
اما تنظر الريحان يشم ناضرا * ويطرح فى البيداء اذا ما تغير

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
* فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح *

وقال ابو الاسود واجاد

وان امرءا قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كان المصطلين بحرّه * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من قدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر ادبنى والصبر ربانى * والقوت اقنعنى واليأس أغنانى
وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وما احسن ما قال محمود الوراق

* انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة اكدت * بعرى الغنا فجعلتها لى معقلا
* فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
* واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة ❊ فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة ❊ فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسني عسر ففوضت أمره ❊ الى الملك الجبار الا تيسرا

وما أحسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة ❊ لا بد ان يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه ❊ فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال مالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وانا أقول

ما احسن الصبر في الدنيا واجمله ❊ عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة ❊ ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني اقول

اما والذي لا يعلم الغيب غيره ❊ ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ❊ لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه احد قبل ذلك في الكوفة ثم اخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوعظني ويؤدبني ويسليني وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له اما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال لي بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فاخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب واحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ❊ ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره ❊ لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكافني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولى العزم فاقول (ذكر ما صبروا عليه) اما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير متوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل شئ قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كافواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى

سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن
الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد
الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها
حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا
ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه السلام طرفه الى السماء ودعا الله
تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل
اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل سل
ربك فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على
ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فجلس به على الارض وأخرج الله له
ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام فى ذلك الموضع سبعة وقيل اكثر
من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم
عليه السلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض
أمره الى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى
بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال * وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال *
وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه
ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده ان
فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه واما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه
صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال انى
أريد أن اقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال
ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت
افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت أشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع
ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على
حلقى ليكون أهون للموت على واذا لقيت أمى فأقرأ السلام عليها فأقبل ابراهيم عليه
السلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد
لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى
جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم
نودى ان يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فاخذه وأطلق
ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره وأما يعقوب عليه
الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل

وكذلك

وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى افضى أمره الى ماتضعف القوى البشرية عن حمله وانذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب انت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر واحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى اعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها اذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تأمرينى ان أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ماقيل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا الى مخلوق مانزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ماانساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا

فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يا من ألح عليه الهمّ والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب فى السجن خمسة عشر سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى

بعض

بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فردّ عليه جواب رقعته يقول

صبراً أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها *

فاجابه أبو أيوب يقول

صبرتنى ووعظتنى وأنا لها * وستنجلى بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فـالبث بعد ذلك اياما حتى أطلق مكرما وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فـما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثـالث من هـذا البـاب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر) قال الثورى رحمه الله تعـالى لم يفقه عنـدنا من لم يعدّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بدله أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فـما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليـل انك لا ترى مضروبا بالسيـاط ولا مقدما لضرب العنق يبكى وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم اوسع لنا فى الرزق فقال لها يا هذه انمـا الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته وعن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه يرفعه يودّ أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لمـا يرون من ثواب الله تعالى لاهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السبـاع لحمه واضلاعه وكبده ملقـاة على الارض فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك ابتليته بمـا أرى فأوحى الله تعـالى اليـه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لابلغـه تلك الدرجـة وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكى انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فـما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء

فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى اعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرّسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما فى نبى الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
* والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
* والنار فى أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
* والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
* بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
* لو لم يكن فى الحبس الا انه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
* غرّ الليالى باديات عوّد * والمال عارية يعار وينفد
* ولكل حى معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
* لا يؤيسنك من تفرّج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعوّد
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال

قال وأنشد اسحاق الموصلي ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدنى حين عزل

* ليهن أبا اسحاق اسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل انبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عار ان يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها انى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثانى انى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث انى قلت قد كان يجوز أن يكون اعظم من هذا الرابع انى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون فى ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فان يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا اغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم فى الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا واضربه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء على بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه فى سحنته مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى فى المنام عليا رضى الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدى

الى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال أئتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى ان لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ما ذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسماعيل بن بشار

وكل حز وان طالت بليته ❊ يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فمر بى انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لأضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتى لبعض معارفى فباعتهما بتسعة دراهم واشترت بهما ماقلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فأخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا اليك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لتقدم علينا فأدخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفى شيأ يشترى به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقعة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فردّ أحسن ردّ وقال ما الذى أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وانشدته قصيدة مدحته بها قال اتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر ❊ يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثنى عما يهم به ❊ قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فأنشدته مالى فيه من شعر فأمر لى بمائتى ألف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الأمن والخوف أياما مداولة ❊ بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق اهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن ابى مسلم وشدد فى طلبه فأتى به اليه فى شهر رمضان عند المغرب وكان فى يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت لقبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع فى النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتنى أطلقتك فحدثنى انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشى عليها فلما افاقت قالت أنشدك الله فى امرى فان هذه العجوز غرتنى وقالت ان فى هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسين ابن على فاحفظوهم فى فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلنى فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدى فمسكونى وأتوابى اليك وهذا أمرى فقال اسحاق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتنى لهما لا أعود الى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرنى الى غد قال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شان وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى اغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا

جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب بلدى فاخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فاطلقوه وامسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جماله ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه فغفل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

* لعمرك ما كان التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فأنشدت قول أبى العتاهية حيث قال

* هى الايام والغير * وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الاسرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فأرسل الى قائد البحر وقال له أنفذ الآن مركبا الى أفريقية يأتونى بأخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى اسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه

عن حاله فقال كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث فى حانوت رجل عطار فبينما انا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فأخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى انى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولدلى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لا ئمه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيأ من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى استفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال اتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا انه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فأقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فأخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا

وأبى أن يأخذ شيأثم دفعها للطوّاف جميعها ثم أخذها ومضى ودخل الطوّاف وهو من الفقراء
وأخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى)
ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم
يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز
القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط
المعا الذى فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان وبضد
هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال
نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من
الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد
أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد
فى هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك
المكان فأصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى
الدار ليقضى حاجته فخرّ عليه الحائط فمات لوقته قال وأخبرنى أبو القاسم بن حبيش
بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار الى دار هناك قضية عجيبة قلت وما هى قال
كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة فى تجارة الخز فاتفق انه
جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة
أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس
يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره انه من أهل الكوفة
وانه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك
وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك
وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت
فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل
احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى
جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما
رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى أن أدرك
القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا
ولكنه ارتحل أثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم
يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا
فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من

شماتتهم ويخشى أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاءك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك واعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتني بمالي فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا وأنا ابدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمني وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع والله مالي علم غير أن رجلا ورد علي بعد العشاء واشترى مني عشاءه واعطاني هذا الخرج فجعلته في حانوتي وديعة الى حين يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له احمل معي الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالي يا خائن قال ها هو في خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذي معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب في الالواح وامتزج بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق وتمشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القشيري اخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له اني لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولي أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين اعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت

لها

لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدن اطيب الطيب طيبا * ان تمسه أين مثلك اينا *

ودخل على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال اتانى آت فى منامى فقال ائت امير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم أبدا عروسا

الى هارون تهدى بعد موسى * تميس ومالها ان لا تميسا

فقال المهدى يا غلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هارون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهارون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بها من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن ابى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسه وكنت أحق بالسياسه فاحتسب عند الله أعظم الرزية وأشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم

بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم أماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له اعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي فاعتقها وتزوجها وقال ابو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في امهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضي الله عنه أتي ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوّمهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن علي ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدي

نهيتكمو أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما انكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يابنى ذاك والله أدب وأمر له بمائة ألف درهم مثل ماأخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لاتأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعو به ❁ سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم

الحر حر وان مسه الضر ❁ والعبد عبد وان ألبسته الدر

ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة ❁ رأى خللا فيما تولى الولائد

فلا يتخذ منهن حرقعيدة ❁ فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضى حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام ان يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال اماضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمر والاعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب ابن أبى صفرة اشترى غلاما اسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فأقام الغلام مدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والاخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابناى للموت قال اجل والله الذى لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ماجببتنى لارمين بهما فقال الله الله ياولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ماهى الانفسى وانى لاسمح بها

في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال ابوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثاري وقتل اولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند والى عمرو الاعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل اسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم واكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه انكره كأن لم يرمنك شيأ وكلما احسنت اليه تمرد وان اسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت اكرمت الكريم ملكته * وان أنت اكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألام من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجي أبويه ويقال في المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمار وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل ان يكون فيه خير وان كان فذلك نادر والنادر لا حكم له وانا استغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والخمسون في اخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من اكاذيبهم

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم واكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا انتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا اذنها أي شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا اعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * واما الوصيلة ففي الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قال وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * واما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا انتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة وكانت لهم يعبدونها

وهي الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي
وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا
خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض ❊ ومن أوابدهم وأد البنات أي دفنهن
أحياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم انثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره و كظم
وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بانثى ظل وجهه مسودّا وهو كظيم وقال تعالى
ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن
خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات ❊ وقيل ان
صعصعة جدّ الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين
عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى
فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا
❊ واما الرفادة في الحج فكانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي
فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على
قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم
وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما
وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم
فيدفعونه اليهم وقيل اول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت
مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي
وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد
الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك انه
لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي وابن سماك
الاسدي الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد
الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله وأما عبد الله
ابن زياد التميمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فاحسن وأوجز فنودي من نواحي
المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا واما ابن سماك فانه أضل راحلته
فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي علي لا صليت له ابدا فوجدت وقد تعلق
زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد ردّ الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت
يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى افضى بهم الى
الكفر وصار واحدنا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان
المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (حكي) عن الحجاج بن يوسف

الثقفي أنه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل لو أن الله أظفرني بأناس
بلغني الامل فيهم واعانني على الانتقام منهم فكنت اتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم
فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب
سيآته والله أعلم

ذكر أديان العرب في الجاهلية كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة
وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وكانت المجوسية
في بني تميم منهم زرارة بن عدي وابنه علي وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس
كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش اخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا
في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم ادركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان
أول من غير الحنيفية عمرو بن يحيى ابو خزاعة وهو أنه رحل الى الشام فرأى العماليق
يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه اصنام
نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب
فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه
وقيل ان اول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسماعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من
مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الاحمل معه حجرا من
حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم
الى ان عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين
اسماعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت
قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وايضا اتخذوا اسافا ونائلة
على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف
على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ اهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا
أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا
قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على
عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت اللات لثقيف
بالطائف وكان حجابها بني مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن
دان بدينهم * واما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا اسماء أولاد آدم عليه السلام
وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم
ان يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه
في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى ان ماتوا

كلهم فصوروهم هناك واقام من بعدهم على ذلك الى ان تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا الهم من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى ان بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا ما اخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعا الاية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسوّل الشيطان لقومهم بعد موتهم ان يصوروا صورهم ليكون انشط لهم واشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وان من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى اعلم أى ذلك كان

(ذكروا ابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله الفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى العرّ داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون ان ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى ان يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم ان النفس هى الدم وان الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينبسط من جسم الانسان اذا مات اوقتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة امر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى

ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا و يكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت فى اول ضربة فاذا ثنيت عاشت الغيلان والتغول ❋ للعرب فى الغيلان والتغول اخبار واقاويل يزعمون ان الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفرد الم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة و يتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رآه فى سفره الى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وانثى الا أن اكثر كلامهم انه انثى واما القطرب فى قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى اكناف اليمن وصعيد مصر فى اعاليه وربما انه يلحق الانسان لينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزا على الانسان ومسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها امنكوح هو أومذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) اما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان اكثرها ايام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى ❋ ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف ما حكاه ابو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه ليت شعرى هل بغت على فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فأجابه صوت فى الظلام نعم نعم وناكها جبيه ❋ وهو رجل احمر ضخم فى قفاه كية ❋ فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة اخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل احمر ضخم فى قفاه كية فقلت لاهلى من هذا قالت رجل كان الطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت جبيه فقلت الحقى بأهلك ❋ واما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه ❋ واما رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى بأحسن منها فانه يامن على اسنانه العوج والفلج ❋ واما خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا اصدره بدم

الصيد علامة ❊ واما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها ❊ واما جز النواصي فكانوا اذا اسروا رجلا ومنوا عليه واطلقوه جزوا ناصيته ❊ واما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير واله ❊ وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون ان المرأة اذا احبت رجلا واحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون ان الرجل اذا اقدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل ان يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون ان الحرقوص وهو دويبة اكبر من البرغوث تدخل في فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون ان الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم امها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة ابيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم.

❊(الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفال والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك)❊

اما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها ولكهنة اخبار فمنهم سطيح وورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت واخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى ان لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فاخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن اسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا اخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وأتني بالجواب فركب عبد المسيح ❊ وتوجه الى سطيح ❊ فوجده قد أشرف على الضريح ❊ فسلم عليه وحياه

ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه انشده شعرا ذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب واظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات * بعدد الشرافات * وكل ما هو آت آت * ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) ان ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما اخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا لغائظ موجع فتى هو كائن أفي زماني ام بعده قال بل بعده بحين اكثر من ستين اوسبعين تمضي من السنين ثم يقتتلون بها اجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أراه ذا يزن * يخرج عليهم من عدن * فما يترك منهم احدا باليمن * قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي * يأتيه الوحي من العلي * قال وممن يكون هذا النبي قال من ولد عدنان ابن فهر بن مالك بن النضر * يكون في قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والاخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال اوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق * ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح ومن ذلك ما حكى ان امية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي امية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبأ والله شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا اصدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما اشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر * والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق هاشم أمية الى المآثر * ولامية أواخر فاخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية (وحكى) ان هند

بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى انبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسست عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه ان يسمني بسيما تكون على سبة فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى ادلى ثم أدخل في أحليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فاكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه

واما القيافة فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم (وحكى) عن بعض ابناء التجار أنه كان في بعض اسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شيء فلما رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت ان يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شيء ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما اعلمتك به في الدنيا ❋ واما قيافة الاثر فاستدلال بالاقدام والحوافر

والخفاف وقد اختص به قوم من العرب ارضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطية وثغر البرلس اقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد واحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى هاهنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون اخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في احياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا اتبعان الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه اهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا

ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمرتنه ان تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال اتدري قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك ابن خراش الخزاعي غازيين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منهما مالك هزؤا وقال ما هذا فقالت اما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

واما الزجر والعرافة فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عادا اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضع قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية

عبد العزيز بن مروان حين أتاه فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين
نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه
ما أظن انى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت
معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت
مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية
وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه
في حجرها وبينما مروان بن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من
الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام
فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس
بملك مروان بقوم من الترك أوخراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهر بن
حتى مضى ملك مروان (وروى) المدائني ان عليا رضي الله عنه بعث معقلا في ثلاثة
آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم
جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهبت به
فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون
ولا تغلبون اما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما
على الآخر (وحكى) ان الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج
ثوبا فلما رأته قالت أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك
فقالت تعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى
دخلت على والشقة بيدي ادبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة في يدى
أريد قطعها الا انى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال
الراوي فكان كذلك (وحكى) ان سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال
الحبشة وهو مسروق بن ابرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء
بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذى
يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لاميره اصبر لتنظر ما يكون من أمره قال
فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى
حمار وكانه انف من مقاتلتهم على شيء من ذلك الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم
وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد
ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان
عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص

محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء بفرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك

واما الفأل فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروى انه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يابشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضى الله عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت بن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع ياسالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك واما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

وقال لبيد

لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما يتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من ان يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد *
* لانت على العشاق اقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
* تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من يوم الفراق على وعد

واعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل ونسب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بأن معابهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال ارسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هموا قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وجند اخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ماقصتك ويحك انتهى وغنى ما يسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان اكثر ناصرا * واكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
* تبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء *

قال فانتهرها وقال لها قومى الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا انك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمى أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال ان يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد ابن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى اول درب منها فتطير لذلك

فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان منذق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبدلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابى الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انه قد تطير واله بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود بجذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على اعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لاعجب من لوط وقوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فأى ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه فى أمره ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسىء الى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فأمر له بمال فقال لاحاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فأينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه ان تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفرد

هذى الليالى علمنا ان ستطوينا * فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) ان نور الدين محمود وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

وأما الفراسة فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على رضى الله عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كانما ينظر الى الغيب

من

من ستر رقيق (وحكى) أبوسعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فأنفت نفسي منه فتفرس ذلك مني فقرأ واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبي فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعي ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الاخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وانا الان نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسألة فقال له اجلس فاني اشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم علي وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهي قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حرزه للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ ما عند الله خير وابقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ماشهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشي و يلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غني واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق ايديهم فاعلم انه صفع و يقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا نوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى

كتاب مبين

واما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان ابن داود عليهما السلام قالت له يابنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجئ يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا اسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا ❊ اكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى (عند الصباح يحمد القوم السرى) وانشدوا

❊ يا أيها الراقد كم ترقد ❊ قم ياحبيبى قد دنا الموعد
❊ وخذ من الليل وساعاته ❊ حظا اذا ماهجع الرقد
❊ من نام حتى ينقضى ليله ❊ لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى ❊ قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفرد

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى ❊ غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك اتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ماقالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا السكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك واكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهرى أحب الى من ان أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وأنشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى ❊ يوما ففارقنى السكون
قل لى فاول ليلتى ❊ فى حفرتى انى اكون

وأنشد أبو دلف

اما لكتى ردى على رقاديا ❊ ونومى فقد شردته عن وساديا

اما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا اللياليا

وأنشد أبو غانم الثقفى مفرد

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل له لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى اذا أنامت فسجى ونام وندب فاذا هو قدمات

واما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى ان الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا واموانا مكفنين بسواد وبكاء واشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وانواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزءا من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم اول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجىء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال مالابى جهل والجنة والله لا يدخلها ابدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله عنه انى رأيت كانى رقيت أنا وانت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله عنها سقوط ثلاثة اقمار فى حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) ان ام الشافعى رضى الله عنه لما حملت به رأت كان المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكى) أيضا ان عاملا أتى عمر رضى الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله عنه

وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية * واما من مهر في تعبير
الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كاني اسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى
جالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا اطؤها فقال أخاف
ان تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رأيت كان في يدي خاتم
أختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال
والنساء من الاكل والوطئ وجاءه رجل فقال رأيت جارة لي قد ذبحت في بيت من دارها
فقال هي امرأة نكحت في ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه
ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال
له رأيت في النوم كاني أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له انت رأيت هذا قال نعم فقال
لمن حضره ينبغي ان يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق
فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان وجاءته امرأة
وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كان القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي ان
ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه
فقال لاخته هذه تزعم اني أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات
بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت كاني آخذ البيض واقشره فاكل بياضه وألقي
صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى فكان كذلك (وحكي) ان ابن سيرين
رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو
أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكي) ان رجلا رأى عيسى عليه
السلام فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله
تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الراءى فكان كذلك وأتى
ابنه مغيث آت في المنام فقال لها لك البشرى بولد * اشبه شئ بالاسد * اذا الرجال
في كبد * تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت المختار بن ابي عبيد وذلك
في عام الهجرة وقال رجل لسعيد ابن المسيب رأيت كاني بلت خلف المقام أربع مرات
قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلي أربعة من صلبه
الخلافة وقال الشافعي رضي الله عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي
ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت اخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته
فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا انظر اليه فضحك

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأى عين كنت تنظرالى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان توفى وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كانى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه و بين امرأته رضاع وقال ابوحنيفة رضى الله عنه رأيت كانى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ماينبغى لاحد من أهل هذا الزمان ان يرى هذه الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عندالله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال تضرعت الى ربى سنة ان يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر ابن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر

الحيلة من فوائد الاراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فاتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فالقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا باس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى امانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور ان لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لوأسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا انه يمنعنى منه حبى للخمر فقال أسلم واشربها فلما اسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك * وان ارتددت قتلناك * فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه السلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون

عندها ثمن مديده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الخديعة
فارتفعت ✻ وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها
طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحا كما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت
صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم
ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس
قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام ان احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار
ابن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر
الى حرب عبيد الله بن زياد ثم ادعى برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان
رأيت الامر عليكم فأرسلها ثم قال للناس انى لاجد فى محكم الكتاب ✻ وفى اليقين
والصواب ✻ ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب ✻ تأتى فى صور الحمام تحت السحاب
✻ فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح
الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد ✻ وعن ابى هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا
الذئب على صبى احداهما فأكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه السلام فقال
كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه السلام
فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يانبى
الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء
رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يانبى الله ان لى جيرانا يسرقون اوزى فلا
أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان احدكم ليسرق
أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو
صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فارسلت اليهما
ان يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك
الشاب وعاين جماله علم انها توثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد اوتيت جمالا فهل
عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع اهلك قال
مايخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة
فى بيتى فينفقها أهلى على مايريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة
والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة
فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون

فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقين فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره ان يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه ان ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فأقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرى يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضى اياس فقال أعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياس بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضى اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشانك لا كثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز لما دخل عليه ليقتله انى لادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وماهو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة ابكار وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز اول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحارث ابن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال

رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتر وجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لى جعل على ان ألطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة انت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد ان أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وانا اجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى ان دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وارملة ❊ اذا نعاك لاهل المغرب الناعى

ان ابن مروان قد حانت منيته ❊ فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك اخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان اول ما أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يا رسول الله فى العود الى مكة عسى اسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى ان يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى اخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى احتاج ان أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وانت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما ابصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر اخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين اظهرهم بمن كان أصاب

من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي من غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى هنالك فقاموا معي فجمعوا الى مالي كاحسن ما احب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ماهذا الخبر الذي جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عني حتى القاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم على ثلاثة ايام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال قلت والله ماتركت ابن اخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم مافيها وصارت له ولاصحابه قال احق ما تقول يا حجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وما جئت الا مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله اما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان

قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون
على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد
ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا
فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة
لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا اشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن
حرب وكان اذذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودّى
لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم
قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا
اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من
القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون
معك على من بقى منهم فنستأصلهم فارسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم
رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم
مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى
غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا
للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت
وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم
يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتدّ عليكم القتال
أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل
بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق
فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون
القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى
ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان
غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا الى قريش
وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل
عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه
الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها
لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة

حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشي فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشدّ الناس تطلعا في خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرّف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ليلة من الليالي يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنهما هل لك في اجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها احد قالت ان شئت قال فخذي معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلي الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لي نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضجها وولدت المرأة فقالت ام كلثوم رضى الله عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولي شيأ من أمور المسلمين ينبغي له ان يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسئول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها ام كلثوم واطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت ام كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة وفي غد ائت الينا فلما اصبح جاءه فجهزه بما اغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرّف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة اسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا اسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب

وانهزموا فسلك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال اريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فأنت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وانت اتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك وكان زياد بن ابيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن ان زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لاعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد اعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق وأقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا ان الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه بإتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم بأسيافه وكان بكمال يقظته يتلقى المحذور ويدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها واحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لامر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لارجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال اخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا

وكتبا واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا آك فانه سيرد ذلك ويقول لا اعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده وا كشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فانكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء اولئك القوم وان معي الطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال اما كتاب فلا اكتب الى أحد ولكن انت كتابي اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لي المنصور اني اريد الحج فاذا اصرت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني اعظمه واكرمه وارفعه واحضر الطعام فاذا افرغ من ا كله ونظرت اليك فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق انك لا تريدني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي المنصور وقال اقلني يا أمير المؤمنين اقالك الله فقال له المنصور لا اقالني الله ان لم اقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لاصلن رحمه ولا تابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا اعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها اغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما افاقت سألها عنه فقالت لا اعلم فلما رأى اصرارها

على الجود قال لها التعرفين فلانا الحجامة فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله امتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وامرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف احوالكم واخباركم ثم قال لها التعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته ان يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما اشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم)

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى اسدة وله اسماء كثيرة فمن أشهرها اسامة والحارث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وابو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو احمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة ايام ثم يأتي ابوه فينفخ فيه فتتفرج اعضاءه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة ايام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا اكل تهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه انه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه انه لا يقرب المرأة

خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضئ بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن ابى لهب كفرت برب النجم يعنى نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع اصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء رأ الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أى شئ ترتعد فرائصك فوالله مانحن وأنت الاسواء فقال ان محمدا دعا على ووالله ما اظلت السماء من ذى لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا انفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا اصدق الناس ولبعضهم فى الاسد

عبوس شموص مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى * كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا اقبلت على واد مسبع فقل اعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بخت نصر رأى فى نومه ان هلاكه يكون على يدى مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت ام دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بخت نصر توهم ذلك فى دانيال فضرى له أسدين وجعلهما فى الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ماشاء الله تعالى ان يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال ارمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفنى فقال من أرسلك الى قلت أرسلنى اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لا يخيب من قصده والحمد لله الذى من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا باعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به ارمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) ان ابراهيم بن ادهم كان فى سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام

واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام فى سفينته من كل زوجين اثنين قال اصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهى أول حمى نزلت فى الارض ثم شكوا اليه العذرة فامر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فامر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفار عنهم ويحرم اكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن اكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به بدنه لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا ارضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط اسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت اثقلت وان سارت ابعدت وان حلبت اروت وان نحرت اشبعت وفى الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماماؤه قليل وماماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيدة والذى يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال اصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة اضعاف عادته حمل ويقل اكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شئ هى من اجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على امه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم ارسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل اكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه السلام اكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النساء فلم يجد ما يلائمه الا ترك اكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء باكل

لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وابو الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه اخذ مالك والشافعي وأبو حنيفة واصحابهم وخالف في ذلك احمد واسحاق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره اكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب امره ان تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة واربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدبر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها ويجري معها (فائدة) ذكر ابن الاثير في الكامل ان صديقا له اصطاد أرنبا وله انثيان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا ابا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله امثالا ومن ذلك ما حكي ان عدي بن ارطاة اتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك

وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط اهلها ان لا اخرجها من بينهم قال اوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط املك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة بن اخت خالاتك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب ارنب لم تضره عين ولا سحر واكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت انفحة الانثى ولدت انثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحري من السموم فلا يحل اكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم او بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش الف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وافاعي سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته (وحكى) أنها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هم دقاق الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش كانما كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تدفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الوازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد ألف سنة الهمها الله تعالى ان تأتي البساتين وتأتي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة ايام وهي اعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى اعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها اجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم

الاتي لا جل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت اخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته
دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها الاتدور واذا اقلعت عادت ومن عجيب أمرها
انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا
دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعاً وليس
لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها الكثرة اضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى
قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق ان العرب سرقوا منا قطار
جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه
عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها
الموت وبينما انا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها
بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان اكلت منها مت
فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما
ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما اصبحت
وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما
فلما نشطت ووثقت من نفسى بالحركة اخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة
(فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان
كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه
وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال
لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى
تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها
عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان
الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت
مكافأتنا اجعلوه فى الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال
فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب
ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده
ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت
من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان
الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد
فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن اللطف
ما اتفق له ايضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده

وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر مافيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هذين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة ايام واماسكان البيوت فالانذار لهما متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى الى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من اكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك اكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبنزهير الحيوانى وأجوده الاصفر واكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبراها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا احرق

واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❋(حرف الباء الموحدة)❋

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشدّ الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا انثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة والشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى احرّها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا نفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه ❋ بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة ان يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم اتى وفى فمه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أن الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (باله) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتها اغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها ارسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها اهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى اصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض تتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه اهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من اكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة

طويل المنقار كبير البطن اكثرا كله السمك (بح) طائر لطيف يأوى اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله عنه فلما ركبه ع رجعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطى
تمشى الى خلف اذا ما مشت * كانما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل ابدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) انه يعرض له الطيران كالنمل وهو بطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أوّلا من التراب لا سيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأوّل فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله انياب وخرطوم وقال بعضهم ذبيها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له انه يمشى تحت جنبيه وكان ابو هريرة رضى الله عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له انس فى ذلك فقال أبدأ بالفرسان واكر على الرجالة وأنشد أعرابى

ليل البراغيث اعيانى وأنصبنى * لا بارك الله فى ليل البراغيث
كانهن وجلدى اذ خلون به * ايتام سوء اغاروا فى المواريث

وقال ابو الرماح الازدى

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضا ليلى على يطول
* تؤرقنى حدب قصاراً ذلة * وان الذى يوذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث اجول
* اذا ما قتلناهن اضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل *
* الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

وقال ابن ايبك الصفدى

اشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال

تعصبوا بالليل لما دروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا آوى احدكم الى فراشه فليقرأ ومالنا ألا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحاق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السداب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه اكثر اعضاء منه فان للفيل اربعة ارجل وللبعوض ستة ويزيد عليه باربعة اجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق او يطار ومن عجيب امره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وان ذلك الدم غذاء لها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

اقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
بمله فليس له قرار * ويثخنه فليس له نهوض
حماه قرصه. وطنينه ان * يبيت وعينه فيها غموض
كانك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى اودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل

ويرى ويسمع خس ماهو دونها ❊ فى قاع بحر مظلم متهول ❊
امنن على بتوبة تمحو بها ❊ ما كان منى فى الزمان الاول ❊

(بغل) معروف وكنيته ابو قوص وابو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه انها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا اسحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى اكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر واناثه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا اخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فنزع عليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل واخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على اطراف الارض وامسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة ان تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء

اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا اطلى به على الاثر الاسود فى البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل واكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا احرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهى اصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها انها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع ما فعلته فى نومها (بوقير) طير ابيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شئ فان امسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان امسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة واهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم

❊(حرف التاء)❊

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهى انثى فى ذكر اذا اطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة اذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع ويقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك فى زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة

ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا افرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا اقضى حاجته قلبها ثانيا الا انه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن ابى شيبة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

※(حرف الثاء)※

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق فمن ذلك انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه انتن من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث جمعها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه ادفى الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى ابى منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا ابعد ألصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ ابو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما

حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد اخبر بما قاله الذئب فقال الاسد اين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء قال وأي شيء اصبته قال قيل لي خرزة في عرقوب أبي جعد قال فضرب الاسد بيده في ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر مايخرج منك فان المجالس بالامانات وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لي والغزال لابي الحارث والضب للثعلب فضربه الاسد في رأسه فرضخها فقال الثعلب انا اقسم حمار الوحش لابي الحارث يتغدى به والغزال لابي الحارث يتعشى به والضب لابي الحارث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضي ما اعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الاحمر الذي ألبسته هذا وأشار الى الذئب (وحكى) ان الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه ما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوءي فاصبر حتى أجدد لي وضوءا وأرجع ومن العجيب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي اتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللوقة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت اسنانه وفروه انفع شيء للمربوط ودمه اذا جعل على رأس اقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين اهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني واستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم

واذابهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت استظل بجفنة عبد الله ابن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن اميره تتابع خلفه وفى الحديث أن جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك فى بعضها وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وان اول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكرياء عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من انعم منك يايحيى وقد أجمع المسلمون على اكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبرانى عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير فى بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم اياما لا يأتيه الوحى قال لعله حدث فى البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحى قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكى ان رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو اخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له

ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فاخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من اخثائهم ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

❊(حرف الحاء)❊

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه انه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان اكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مستويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقبله فلما علم انه لا بدلي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا لي أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهادهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أفادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا اسعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس

الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادى وهى لاتصيد الاخطفا وفى طبعها انها تقف فى الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفى طبعها انها لاتخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب *(عجيبه)* روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال ان عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا الجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها ام قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطاطئ برأسها وتتلون الوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق *(لطيفة)* فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر اصاب حمارا أسود فكلمه فقال مااسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى

وانا

وأنا عند يهودى يجيع بطنى و يضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى صلى الله
عليه وسلم يعفورا وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه
فى حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب
البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت
لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا
الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه
أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه ان أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له
فى ذلك فقال عير من نسل الاكراد يحمل الرحل و يبلغ العقبة و يمنعنى أن أكون
جبارا فى الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى
وأقربها مرتقى وكان حمار أبى سيارة مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس
عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى
يختاران ركوب الحمار و يجعلان أبا سيارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد
الكاتب انه قال لا تركبوا الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب
رجلك وقيل ما ينبغى لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابى الحمار بئس المطية
ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطئ فى الغارة
لاتوقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية
حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل اثاثه اذا
رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد
ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر
بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فأخذوا
فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت
الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة
والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى
والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب
والمنسوب ومن طبعه انه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل
الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر
سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير و يعود الى وطنه وسباع

الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا ابصره يعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه انه لا يريد الا ذكره الى أن يهلك او يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى انثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير انه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل اهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شيء أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير غيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام في الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة

❊(حرف الخاء)❊

(الخطاف) انواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه اخضر وتسميه اهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء واتت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها في اقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ❊ تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرّم زادهم ❊ اضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدّد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه ان اليرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب امره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه (لطيفة) قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش). طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سألوه النصارى فى طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذوناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان ابستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك اذنابها فى زمن هيجانها وتطاطئ رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانها حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض واطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهر حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه

على ماذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها ايشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقي يقول من به وجع كذا الى ان قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفسا فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فاتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ماذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى احب اهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من الاهوال الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فأغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى ان يعبر البحر فعبره وهو خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات

صغار

ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوّضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

احبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا

* اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فاشركت العيالا

* تقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل ما دب على الارض واما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك ان سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفوله يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان ان رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفا فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم انه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة ايام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مرّ عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت واما الدابة التى من اشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من

صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفي حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها
جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتي الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته
أبوجهينة وأبوجهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص
يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد
به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه
في الهواء اياما حتى تنفرج اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما
ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهي من الحيوان الذي يدعو
الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز
اليها الى ان تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع الا بالفاس
والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب احدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها ام ناصر
الدين وام الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها
بقدر ما تتنفس وعندها خوف في الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا
وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية
السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بمسك منقاره فان تحرك فذكر والا فأنثى ومن
الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة في بطن
الدجاجة في عشرة ايام وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ الغنم
للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب في صنعة الله تعالى أن خلق الفروج
من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المني وجعل دم الحيض غذاء له
فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتي يزيد في العقل ويصفي اللون
ويزيد في المني ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج)
طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من سكندرية والناس يصطادونه
ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها انها
تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك في أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه
مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا في حق وربما
تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض
قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك في مدة
ستين يوما قال ثم يأخذ في النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما في جوفه ثم يخرج
شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى
السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد

فرش لها خرقة بيضاء فينتشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منها البزر وان أريد الحرير ترك في الشمس بعد فراغها من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال ابو الفتح البستي

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه *
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
* كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت اصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة مالا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فأنه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة مسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى ان يبلغ الاضطرار

بأبي اسحاق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذ اقتصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك الكريم على الله فان اسماعيل نبي الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره انه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفي الحديث اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه فان في احدى جناحيه دواء وفي الاخرى داء وان من طبعه أن يلقي نفسه بالجناح الذي فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعني زنبور فحككت على موضعها أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا لو هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وأتى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها اكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس في الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكلكلاب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله اعلم

محرف

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسي ذكر لي بعض المسافرين في البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما اصبحوا وجدوا في طرفها المعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذي شيب قال فلما اصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا في البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر في البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقي معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صما وسبب ذلك ماقيل في بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

(حرف الزاي)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهي ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتي بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكر وانثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة في بنيانه بيته وذلك انه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى ايام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفي طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع في الزيت مات وفي الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلي هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل واكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وامسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفار قال وربما صادها الذئب واكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركوني فقد أخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وله ألف دينار

وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بأرض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) ان شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة (حكى) أن أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال ابيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما اكثر أسماؤه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منها وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة تخلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم ان هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه . (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس اسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لايقتدى بأئمة ❋ فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ❋ سعيد أبو بكر سليمان خارجه

❋(حرف الشين)❋

(شادهوار) حيوان يوجد بأرض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض فى قصبة أنفه اثنى عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتندهش

فيغفل

فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى اسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل اول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار فقال فطار واحد منهم وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصارت تصيد به (شحرور) طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه اول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضان) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعاً نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما اكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما اهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا أعظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتى غنم من الهند للكبش منها ألية فى صدره وأليات فى كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب امرها انها اذا سافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت انثى والله اعلم (ومن خواصها) ان لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله اعلم (ضب) حيوان يجعل جحره فى الارض الصلدة وعنده بلم فربما لا يهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة

سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء بقال انه لا يشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الادمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا اتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله اقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن اذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولانت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى يا حبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله أن مال فقال يا حبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وامّر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدار قطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان

وشحمه

وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشدّ على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مرّ بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه احبه الناس واذا جعلها في خل سبعة ايام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشرب به زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأوّل ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان اكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه السلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وانالي تسعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله اعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل شهر ففي السنة اثنى عشر بيضة او أقل أو أكثر ويسفد الذكر في ايام الربيع ويرمي ريشه في ايام الخريف كالشجر فاذا بدأ طلوع الورق طلع ريشه ومدّة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت اوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن اجل ذلك تجد شارب الخمر أوّل ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادي السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوي سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهي ظباء الرمل ولونها رمادي وهي سمينة العنق والثاني العفر ولونها أحمر وهي قصيرة العنق الثالث الادم وهي طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحيها في الماء العذب فأي شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا

(ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست في ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتي بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل من فيه وتأكله بعد ذلك

❊(حرف العين)❊

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك ان موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا والقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون انه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدي ابي بكر الطرطوسي رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال ام حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله واما الرقص والتواجد فأول من أحدثه اصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه في جلوسهم كانما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير العدد وقال غيره

اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها انها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما انا فى بعض سياحتى اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى ان جاء الى شاطئ البحر فظننت انه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم ايقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جررنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى ان مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب *
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب *

(فائدة) اذا لدغ احد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما ذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اما انك لو قلت اذا امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى ان من قال حين يمسى اعوذ بكلمات الله

التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو انه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب ان يحملهما معه فشرط عليهما انهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه اكبر من جناحي الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التي خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال اصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفي سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشرى فى ربيع الابرار أن الله تعالى خلق فى زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان واربعة اجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد

بالباب سائلا فقال له ماولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك اخطبى لى امرأة حسنة اتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هناك احسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها واحبها حبا شديدا واقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء اشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا اعلم الا أن أمى أخبرتنى انه كان لنا خادم وانه يوم ولادتى غافل امى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها انا ذلك الخادم وحكى لها السبب وان ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا ان يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أراد وافعلوه وفرشه وأمرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما افاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن انيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت

الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بارض مصر كثير ويسمى
العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد
خلفه وامر أنثاه ان تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفأر فسقط
فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا
صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه
فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة
فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم انه لم يبق عنده
شئ فافلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته ابو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع
والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا
صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن
الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى
فى طعمتها الى ان تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها
وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش
فتأتيها ومنه قول الحريرى يارازق النعاب فى عشه وجابر العظم الكسير المهيض ومن
طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة اكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى
بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد فى طريقه رمة فسقط
عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق
فى اثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر
بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) اذا غمس الغراب فى الخل
ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه
العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر فى خرقة على من به
السعال زال (غرغر) دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة
فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم
الاسود وعنبهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع
لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله
اعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح واذاها لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا انقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم (الخواص) عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل افطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر يرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو وهو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل اول من صاد به كليب بن وائل واول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية واكثر من اشتهر باللعب به ابو مسلم الخراسانى (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته ابو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وماظنك بخلق ربما كان نابه اكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأطرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر بمجيئه ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان الحنك وخرطوم الفيل انفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطوم مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه

لا ينفذ وانما هو وعاء اذا املأه من طعام أو ماء أولجه في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هارون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال ابو الشمقمق

ياقوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
* رأيت بيتاله شئ يحركه * فكدت افعل شيأ فى السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم و يتركونه ومن عجيب امره ان سوطه الذى به يحث و يضرب محجن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى لحمه واول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهرنابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة ايام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساءنى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل و يحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام و يقال ما يمسك الله البحر فى هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد

و يحلل

ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما الى ابى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

* هنيأ يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف * وماقصرت عنه فى الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته ابو سفيان ومن عجيب أمره انه يصعد الكرم فيرمى بالعنقود ثم ينزل فيأكل منه ما اطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول اذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو اكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه بطن امه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى التمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا اتمت نوبته ايقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا

مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن انثى السلوقى اسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الاجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلاب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه اخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدوله فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب اخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك ما حكى) أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فأرسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى واضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل

الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه قال فقال الامام احمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب اهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسماعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة اخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

❋(حرف اللام)❋

(لغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده.

❋(حرف الميم)❋

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

❋(حرف النون)❋

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى اكلها

فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على انفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا او كبريتا هجرتها والله اعلم (نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لاميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فأخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية ومامات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى وروى ان شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يارسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الاطفاء جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بنى هاشم فضحك الحاضرون عليه وابهته (الخواص) اذا خلط العسل الخالص بملح خالص واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب فى يوم وجثته عظيمة

حتى قيل انه يحمل أولادا لفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه فى تلك الحالة امسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض فى الاماكن العالية ويلقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفى الحديث أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب امرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تاكله فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضى الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع وقال لم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها فى شئ اما شعب أو حجر تظن انها قد استترت ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفى طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه ما دام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعى وسأل ابو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان

أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان انثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيأ صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله اني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمي البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(ياجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل

هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لايموت احدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل واكثروعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا في الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له اذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث ايضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب ومابعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفي الحديث أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت صيحة عظيمة أفزعتني فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الصيحة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كأنه من حديد كانه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذي بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى ان يقضي الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع في حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار في ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقي قرنيه في كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وماهي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وانا ايضا لي اليك حاجة قال وماهي قال اذا ركب

الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السداب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد ايام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السداب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السداب فى اذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

(فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من اسنانهما ابدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان اهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضئ بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلاب والارنب والضبع والخفاش ويقال ايضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

❋(الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)❋

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانى وعشرين أمة على خلق مختلفة وهو أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عى الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات

وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج جميع المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكبر من ان تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتى مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى اودبقى كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كانها قطعة من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا لوضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا القينى يسلم على ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الاحمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار وقيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته وروى عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق انه كان من أحسن الناس وأجملهم الا انه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الارض براو بحراو يفسد ماشاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز فى الهواء عشرة اذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله

أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن امه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشر أصابع ولكل أصبع ظفران كالمخلبين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام اسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فأغفلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوج ابن عنق ومن ذلك ما حكي عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه وروي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنها قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا ومنه ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا انه لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان في بعض الاحيان وانه يصلح بينهما ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى الى أبي منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه انه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربع أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه ومن ذلك انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات

الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصياد ين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن من النساء ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ماذكر (وحكى) عن الشيخ ابى العباس الحجازى قال حدثنى بعض التجار انه فى سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا اذنها وجعلوا فيها الحبال واخرجوها فنفتحت اذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت فى أيديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزوينى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار * ونظير هذه الحكاية ماذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما اكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به اكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم ان كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم

يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته شعر

فيا عجبا كيف يعصى الالـــه ام كيف يجحده الجاحد

* وفي كل شئ له آية * تدل على انه الواحد *

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء تدخلن في ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرانا أبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وان ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذي بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادي السبت وهو واد يجري فيه الرمل كما يجري السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التي لا رؤس لهم أعينهم في مناكبهم وافواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك في سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتعرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) انه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق

أنها رها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة أوزة من نحاس فاذا دخل الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لا تسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❁(الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم)❁

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة

فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه السلام واتفق له معه ما اتفق واهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل فى مكايده لعنه الله) منها انه كان فى بنى اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لوحملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فاضرك لوحملتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه له ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها واعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا ارحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق أن بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاورمعه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى واخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من

دونى

دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين انه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لا علم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهالك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا انفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال أن رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ها هنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

يا ذا الذى للعين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذى للعين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدمنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جزاصيتى أواحدى ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أوأخدمك أيام حياتى أوألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا ابيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والأودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الأسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحجار والانهار والغوص فى البحار وابنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسئول فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيهامن العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

(الفصل الاول فى ذكر البحار) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع

عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وأن بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل لها الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا انه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شيء ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمها فتطعمونا فأرسلنا اليه منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبي ينخلع وسقطت على وجهي أنا وغيري ثم ألقت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق

فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول أن جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نار الطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل أن فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفرا منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فأخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا انها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وانها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد

قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلي الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون الرشيد انه ركب سفينة في بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا الحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تحيي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع في تلك الحفائر وقيل أن الدرفين وانواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل أن خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه الى ذلك المكان وقيل أن في البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكي أن فيه جزيرة فيها ثلاث

مدن عامرة وهي كثيرة الامطار واهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لاتحصى ولا يمكن حصرها ويقال أن الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها امة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال أن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال أن هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهم في غاية الاضافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها اربعمائة وصيفة كلهن ابكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم واطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال أن بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهي جبال في البحرين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك

ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر ولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدّا فى الجرى فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى تجريان *

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول النيل المبارك ليس فى الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين فى بلاد الاسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل أن مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف فى زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بأرض أرمينية فضائله

كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات * جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لانها مستفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل أن مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكي) انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم انه لما غلب على نفسه رأى كان أحدا يحمله ويصعد به وروي في الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدي قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه في بعض الاوقات شيء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان في تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * نهر صقلاب يجري فيه الماء يوما واحدا في كل اسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصي بأرض حماه وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الداني ويسعى لها القاصي
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق في أكناف أذيالها العاصي

نهر العمود بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة

طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقي نفسه فيتقطع ❊ نهر باليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجري من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى المشرق ❊ نهر ببلاد الحبشة والسودان يجري الى المشرق يشبه النيل في زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند في الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجري في بلادهم ثمانية اشهر ثم ينصب في البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثالث في ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شيء غريب فسمعت أن ببابل بئرها روت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت في بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بي وسألني عن حاجتي فذكرت له غرضي فأمر يهوديا يذهب معي فيوقفني على البئر ويطلعني على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرني أن لا اذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودي فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك ❊ بئر برهوت بقرب حضرموت وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار وقال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوي اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة ❊ بئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها ❊ بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها انها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين ❊ وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وامتنع الناس عنها لكثرة عقاربها ❊ وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجري فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

❊(الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)❊

(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواة الاثر ان الله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث أقليم مصر الرابع أقليم بابل الخامس أقليم الروم والشأم السادس أقليم الترك السابع أقليم الصين وأوسط الاقاليم أقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور ومعروف بين الناس فن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لان آدم عليه السلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضئ بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل اروند) بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جليدا وفى الشتاء يحرق

من حرارته (جبل الصور بكرمان) يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء برى كذلك (جبل الارجان بطبرستان) يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أومثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) بأقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة و يدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية و يكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار أن أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمرود الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام و بقعته بكوثى من أرض بابل و به الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الثعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وان الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالله فما ذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا و يطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج اولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته

كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب فقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وانه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضئ كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك انه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة ومافيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعدما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحاق هل بلغك أن فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر

كيف

كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأن الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتي والله تعالى أعلم (ومن المباني العجيبة الخورنق) الذي بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبني لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وقبح فعل كما جوزى سنمار

ومن المباني العجيبة (حائط العجوز) واسمها دلوكا القبطية وسبب بنائها لذلك انها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها ما يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى اسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقي وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى ومن المباني العجيبة (الاهرام) وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا قيل أن دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل أن كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا في عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهي من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم ويرجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها

ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيها الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد ابن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيهما عجيب جدا والله تعالى أعلم ومن المبانى العجيبة (منارة اسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوّت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد ابن عبد الملك قال المسعودى قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر انه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد أن تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا كذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد انها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد عملت الجن لسليمان ابن داود عليهما السلام فى الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود

من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفى تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيهما من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها مالا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجأون اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرار يفه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها مالا يعرفونه وهى مقسومة الى مايذوب والى مالا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فنقول طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه خواصه يقوى القلب

ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا أثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه في الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ أو تحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها انها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ في الطبع ومن خواصه اذا اصدئ وطلى بالحامض زال صدأه والاكل في آنيته يولد أمراضا لا دواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه انه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وجعله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدأه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه اذا ألقى في قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه انه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شئ واذا اشد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصيني) حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها في الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل أن حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح اذنه ويلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان في بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه انه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأردأه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه انه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل

(البجشى) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف ومن خواصه انه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنقش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفي مائيته سر اذا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ماقيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع في الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل في أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب ومن خواصه ان الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة انه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه انه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الازرق الصافى خواصه النظر فيه يجلوا البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله عنه ماافتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه بسعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل في بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق

وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تحلو اقلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر المغناطيس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذي يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته ان الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص ازاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه انه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان اسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا على ابدأ بالملح

واختم

واختتم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر الاطرون) قال أرسطو ينفع الارحام التي غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقي في العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم في أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق في ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الالاني كرهت أن يكون كتابي هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل في الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج في طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما في الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بأن يظمئوا ابلا ثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت

الفلاسفة أن النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يضطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا انه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تنفقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكي مؤذن المنصور رجع في أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة في قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت في صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع *

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقاني أبدا * في صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغني بقول جرير

قل الجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجي

الا شاش وشجعت نفسه وقوي قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغني بقول حاتم الطائي

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى في ماله سبلا

الا انبسطت انامله ورشحت أطرافه واختلف الناس في الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام واحتجوا في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمراء لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ما روى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله ابن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثواءى بالمدينة بعدما ❊ قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهئون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فأنا الذليل ❊ وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين

مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابي حنيفة فأقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن اذينة ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهي تغني فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد يهلك فقالت له اني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتي به الايام *

* فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله في دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد

الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لا اسمع شيأ تكاد الجبال أن تحوله ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله ابن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله ابن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان اذنى عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داوأذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعزجواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ماقد كان اخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فاجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب وحدث بن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا بصوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا فولجنا فان كنا كراما فقد

أذن لنا وان كنا أنا ما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشوك وما أظن انثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❋(الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء)❋

قيل ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قين ويحك قم فهينم ❋ لعل الله يصحبنا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن شريح والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى ❋ كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا ❋ دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني ❋ رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادى ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها ❋ واهج قوما قتلونا بالعطش

❋ انما الراح ربيع باكر ❋ فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا في الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول في ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيث ما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلي قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغني كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

* وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وانبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلي يقال غن علي عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الايام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لانكلن بكما فقال يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فأمسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم أنك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور وقط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي

عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبي عيسى قال لي ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب درى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

* لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
* كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

* الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيح الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو أشباح *
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سياح *

ثم سكت وغنى رقيق

لا تحفلن بقول الآثم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح

كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لألأوها عن كل مصباح
* مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
* فقام يشدو وقدمالت سوالفه * يا دير حنة من ذات الاكيراح
ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه
يالجة الدمع هل للغمض مرجوع * ام الكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لا والذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ماأرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع
قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أباعيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول
* اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ماأصبت به أهلى
* خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى
قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك ياهاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا أعرابى قد ظهر من البوادى ادعوبه لنسخر به فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هولى فأخطأته الجارية فقلت لها اخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا ووتر كذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى بر أستاذى فقال الوليد ذلك اليك فحلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هولاك ثم قربوا اليه

السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتي فأرادت أن ترفع رجلها وتطالع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتدّ جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت انا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي ياهاشم مانرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب ان يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غني دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

* اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
* اذا ما طواك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما اعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد أدفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحاق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحاق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودّعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الى وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودّعينا ياسعاد بنظرة * فقد حان منا ياسعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول

فما كل يوم لى بأرضك حاجة ✻ ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لاسمعت يومى غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة ما أمر لى قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرنى فى الميعاد فبارلنا فى أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا فى ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة و رفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة مالا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما فى أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب اساعته ثم قال خففوا عنى فانه شئ والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فأقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على فتسأله الرضى عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة لك من مالى ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابنى ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح و بقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضى عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث أن دعى بأبى يوسف القاضى ثم بابراهيم ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر

والرايات

والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ماسألك قلت سألنى رضاك عنه ياأمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكرأن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ماأدرى اى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ماابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ماحكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جدمن الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ماسمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى اجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ماجئت سعدى ازورها ❊ أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها ❊ اذا ماانقضت احدوثة لوتعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❊(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)❊

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لاتفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال ياعلى قلت لبيك ياأمير

المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقالت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضى والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلها فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغن واحد أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد خامرهما قال فأعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لأسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ابنة ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فأمسكها فبكت وقالت له يا سيدى

الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين لبلبية الشعر *
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فمازلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
* أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
* فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر *
* فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
* ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
* فأقسمت عمرى لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها اشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثنى أبو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب فى يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشربها من كفها وأمسح فى بخدها فاطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك

وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أولتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها لها صدغان كانهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كانه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكي وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطا الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوته * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أبا زيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا الله يزيد قراناً أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة

* محجوبة سمعت صوتى فأرقها * من آخر الليل لما نبه السحر *
في ليلة البدر ما يدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر *
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
* لو مكنت لمشت نحوى على قدم * تكاد من لينها فى المشى تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت أن الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وأن الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد قصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

* فصدت عرقا تبتغى صحة * ألبسك الله به العافيه *
فاشرب بهذا الكاس يا سيدى * واهنأ به من كف ذى الجاريه
* واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها فى الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التى جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فأبطأ قليلا * على الرغم منى فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه فى حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة واهدى داود بن روح

المهلبي الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

* لاتهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسى الا من حدوث اذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمود بن مروان يصف جارية له

امست تباع ولو تباع بوزنها * دررا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبى حسنى فازداد بها المأمون عجبا فسمها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

* اختلست ريحانتى من يدى * ابكى عليها آخر الأبد *
كانت هى الانس اذا استوحشت * نفسى من الاقرب والابعد
* وروضة كان بها مرتعى * ومنهلا كان بها موردى
* كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

وللمتوكل فى قينة

امازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فأحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن البر قال حدثنى اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لى لذتك ولا لذة لى قال وما لذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتنى * أهيم من الحب فى كل واد

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه والله ما أظنهما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة

يسمونها المخارج فقال ياحبيبتي أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خرجت لهامن بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال ياحبيبتي أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين واهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال ياحبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلاء على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال ياحبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

اوحشونى وعز صبرى فيهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا يغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما ياحبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما يازانيتان ان لم تعلمانى به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمى وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطاءى فقال الرجل حياة نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفنى الملاح وأضجرونى * على مابى بنيات الزوانى

فلما قل عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغوانى

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله وقال على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

قالت تأتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان اشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود ونا ولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

مولى كبد مقروحة من يبيعني ❊ بها كبدا ليست بذات قروح

اباها على الناس لايشترونها ❊ ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فأقلقني الشوق اليها فعسى أن تغنيني شيأ في معنى ماذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح انني ❊ أعار جناحي طائر فأطير

فما النعيم ليس فيه بشاشة ❊ ومالسرور ليس فيه سرور

وانّ امرءا في بلدة نصف قلبه ❊ ونصف بأخرى غيرها الصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ماقل وحل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال أعرابي العشق خفيّ أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته اورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر ❊ ومن برقع عن طفلة غير عانس

اذا شق برد شق بالبرد برقع ❊ من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ماتبلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وأذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا ياجميل أتى أخوها ❊ فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها فى الحشا أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبـــقى ولا يذر

وفى الجليس الانيس لابى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس مسيء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنته وتهجره فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا لملك ثم لتعلمه خبرها وخبره ولا يطلعها على ما اسره اليه فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه

ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الى ويسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به وكان عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية فى قيس (شعر)

لم يكن المجنون فى حالة ❊ الا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى ❊ وانني قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المر بابها ❊ واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

ايها العاشق المعذب صبرا ❊ فخطايا أخى الهوى مغفوره

زفرة فى الهوى احط لذنب ❊ من غزاة وحجة مبروره

وقال عمرو بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تساررنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لو حز بالسيف رأسى فى محبتها ❊ لطار يهوى سريعا نحوها راسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم ❊ ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الزاد فمضيت به اليها فما زادا على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت أن لقاء كما يقتصر على هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم ابن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى ❊ منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى ❊ منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ❊ وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية ❊ لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب

ان اكن طامح اللحاظ فانى ❊ والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

❊ فقالت بحق الله الا أتيتنا ❊ اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت ومافى القوم يقظان غيرها ❊ وقد نام عنها كل واش وحارس
❊ فبتنا بليل طيب نستلذه ❊ جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوّله فأنزله فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له ❊ مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها ❊ ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الاول فيما جاء فى الكتابة على سبيل الرمز وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اى والله فمن هو قال انى لارجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى

بريبة قط وعن عبدالله بن عبدالمطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم انه دعته بغي الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فارادت أن تخدع عبدالله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا نأبى ونستدينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

* موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

* حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

* أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى اليه فأعلميه انى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت

قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

وقال آخر

* يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذي عينين لا بد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه ان لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك لخنا ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

* تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا *
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا *

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة اعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت

فى نفسى محبان قد طال التناءى بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيرى لاشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال لى أقلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كانه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم انشأت تقول

ما الحب الا قبلة ✽ وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا ✽ ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى ✽ وصار من يعشق مستعجلا
✽ يريد أن ينكح احبابه ✽ من قبل أن يسهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى امتعنى بحبها وأشقانى بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى لثمها وأعصى الشيطان فى اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره انى اذن لائيم لم يلدنى كريم ومر سيدنا عمر رضى الله عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه ✽ وليس الى جنبى خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ✽ لحركت من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يعفنى ✽ واكرام بعلى أن تنال مراتبه ✽

قال فسأل عمر رضى الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة

اذ

اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تسببه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن على نصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج *
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج *

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر ابن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

* لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام
* فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام
* لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض اماني النساء غرام *
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي حرمة فألام *
* فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
* ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسماعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاى وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لا تسألنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها أن تغنى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الاخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

لا استطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا

أدعو الى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود أراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا

ألا عرجا بى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر

والله

والله لا أسلو كم أبدا * مالاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأمر مامر بك فى هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى ببيع ولا هبة فأمسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها فى تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيتى أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون اليهن المنتهى فى الجمال واكتب لى بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا

يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن أقليم الى أقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب أمير المؤمنين أمتعنى الله تعالى ببقائه يذكر فيه انى أشترى له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهى كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال تشفى السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى أفتأذن لى فى ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهى الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

* أمكتوم عينى لا تمل من البكا * وقلبى بأسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبى رهين كيف لا أتعشق

فأجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة

ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وماهذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا ياأمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يافتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك ياأمير المؤمنين وعظم قدرك ماهو الا هوى الجارية فقال هى لك بما أعدته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فأخرجنى اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابى بجمع السبايا بالتقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز ياخالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلنى حتى أتم شعرى بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له أفد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن

محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الملك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيئا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطيء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فصحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة لدفتما رمت وما بي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر نقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت اني انتظر

الواشين

الواشين والرقباء حتى ناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى استضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الي فأكلت وأكل معي الا انه أكل أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطاءى فصليت وأعلمته اني أريد الهجوع لما مر بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيأ فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها اقلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوي فحركني فأوهمته اني كنت نائما فقال يا أخي هل رأيت الجارية التي كانت تتعهدني وجاءتني البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمي وأعز الناس علي واني لها محب ولها عاشق وهي أيضا محبة لي أكثر من محبتي لها وقد منعني أبوها من تزويجها لي لفقري وفاقتي وتكبر علي فصرت راعيا بسببها فكانت تزورني في كل ليلة وقد حان وقتها التي تأتي فيه وأشتغل قلبي عليها وتحدثني نفسي أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

* ما بال مية لا تأتي كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل *

نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عني ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدي فاذا هي الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

* ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جرّيت حقا لك الشرا

وخلفتني فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخي الا ما قبلت ما أقول لك فاني أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي بقي منها معي وادفنا في قبر واحد وخذ شويهاتي هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هي والدتي فأعطها عصاي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا مني السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقي جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة

باكيا خزينا فلما كان الصباح اقبلت امرأة عجوز وهي كالوالهة فقالت لي هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأخذت تصيح وتبكي وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكي بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا ✽ والشمل مجتمع والدار والوطن

ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا ✽ وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحي لبني عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلي وأنا متعجب مما رأيت في طريقي ومن ذلك ما حكي أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت ✽ فحي ويحك من حياك يا جمل ✽

لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف ✽ عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

✽ رحلت جمالهم بكل أسيلة ✽ تركت فؤادي هائما مخبولا

لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا ✽ حتى أودع قلبي المتبولا

ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا ✽ جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لاصيحن صيحة أنزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم توادعا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليستقي راحلته من حي بني نهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال له يا ابن أخي

ارايت

أرأيت في طريقك شيأ فراعك قال نعم ياعم رأيت غرابا على بانة ينفلي وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه لغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ماهذا اليوم ياسيدي فقال ان هذه عزة قدماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدي لا در دره ※ وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة ※ ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى ※ وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد (وحكى) الاصمعي قال بينما أنا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا ※ اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره ※ ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى ※ وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره ※ فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا ※ سلامي على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحي فتى أوفى البرية كلها ※ وأقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت ياهذا انه ابن عمي هويني فهويته فكان ان أباح عنفوه وان كتم لاموه فأنشدني شعرا وما زال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله في قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى ※ وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام

مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * و يأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسبما بوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر

ابن نباتة

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل *

وبيض رقاق أم جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل *

وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشا والمقاتل *

بروحى أفدى شادنا قد ألفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل

* أميرجمال والملاح جنوده * يجور علينا قدّه وهو عادل
له حاجب عن مقلتي حجب الكرى * وناظره الفتان في القلب عامل
* رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو في الخد سائل
شكوت فما ألوى وقلت فما صغى * وجد بقلبي حبه وهو هازل
* طويل التواني دله متواتر * مديد التجني وافر الحسن كامل
* أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو ولا لاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلي وهو مفعول في الهوى * وينصب هجري عامدا وهو فاعل
تفقهت في عشقي له مثل ما غدا * خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكي ماضر لو كنت شافعي * بوصلك فافعل بي كما أنت فاعل
* فاني حنيفي الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغي وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب *
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب *
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في جنى فيه أو ريقه الشنب
* كأنه حين يرمي عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
* أليس من نكد الايام يحرمها * فمي ويلثمها سهم من الخشب *
من لي بأغيد قاسي القلب مبتسم * لا عن رضى معرض عني بلا غضب
فكم له في وجود الذنب من سبب * وليس لي في قيام العذر من سبب
* تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب *
أشار نحوي وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكأس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * في حجرة الدن أو في قشرة العنب

البهاء زهير

* يعاهدني لا خانني ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
* وذلك دأبي لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
* أقول له صلني يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث
وماضر بعض الناس لو كان زارني * وكنا خلونا ساعة نتحدث
* أمولاي اني في هواك معذب * وحتام ابقى في الغرام وأمكث

فخذ مرّة روحى ترحنى ولا أرى * أموت مرارا فى النهار وأبعث
* فانى لهذا الضيم منك لحامله * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
* تردّد ظن الناس فى فأكثروا * أحاديث فيها مايطيب ويخبث
وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث

النابلسى

ما كنت أعلم والضمائر تصدق * أن المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للدوام تطرق *
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

أبو الحسن الجزار

* فى خده من بقايا الاثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش
* ظبى من الترك اغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
* اذا تثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
يا عاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش *
* كم ليلة بات يسقينى المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش *
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش *
فى مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش *

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لى خصره المضنى فناسبنى * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانها فيه قلبى أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فأوقات المنى غلط

القاضى مجد الدين بن مكانس

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا فى سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وتردّدت فضلاته فى خده

اسكنته

* اسكنته قلبي فأعدت خدّه * نيران أحشاءي عليه ووجده
* من لي به حلو الشمائل أهيف * روت العوالي عن مثقف قدّه
* يا عاذلي في حبه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
* لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت أن ضلاله في رشده
* فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده
ماجاد غيث الدمع الا عن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدّي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلي

نفس عن الحب ماأغفت وماغفلت * باى ذنب وقاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت * ماقدّمت من أسى قلبي وماعملت
أفديك من ناشط الاجفان في تلفي * والسحر يوهم طرفي انها كسلت
واوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
* معسل بنعاس في لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت *
من لي بألحاظ ظبي يدعي كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
* وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذي محاسنها تزهو وذي ذبلت
* أما كفاني تكحيل الجفون اسى * حتى المراشف منه بالّلمى كحلت *
أستودع الله اعطافا شوت كبدي * وكلما رمت تجديد الوصال قلت *
* ومهجة لي كم ألقت بمسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت *

غيره الفاضل

شرخ الشباب بحبكم افنيته * والعمر في كاف بكم قضيته
* وأنا الذي لو مرّبي من نحوكم * داع وكنت بحفرتي لبيته *
* كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شريته *
* لله داء في الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته *
قالوا حبيبك في التجني مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كافي عليه تخلصا * لا والذي بطحاء مكة بيته *
ولو استطعت بكل اسم في الورى * من لذة الذكرى به سميته *

للشيخ بدر الدين الدماميني

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدّى جلاه رحت قتيلا

* صح عن جفنه حديث فتور * وهو مازال من قديم عليلا
* مزأبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا *
* ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه يا عاذلى مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
* قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا *
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لو أن قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتألم *
ومن العجائب انني لا اسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
يا جامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم *
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

* تصدق بوعد ان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
* فخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
* أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذار به الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس *
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه *
قال اذ قبلت وهمافمه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بابى غلام لست غير غلامه * مذ جادلى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
* واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
فخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ما ضل فى شرع الغرام وما غوى
* وبمهجتى رشأ أطالت عذلى * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس الا وا كنست * خجلا ولا غصن النقى الا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * يا طيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

* عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
* رشا تفرد فيه قلبى بالهوى * لما غدا بجماله متفردا *
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

ياحسنا مالك لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * ويالذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندى سنى * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
* يرحمه الله على اننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن أكتم

دنا هاجرى نحوى بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
* فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا

شكوت فما ألوى وولى وما لوى * وأعرض مزورا فسل الحشا سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بابى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لممه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أراك مفارقى

وقال ابن نباتة

* بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
* وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالفاظ لالا
* عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لانى * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * واشكر من صنائعه الجمالا

القاضى فخر الدين بن مكانس

ياغصنا فى الرياض مالا * حملتنى فى هواك مالا
ياراحلا بعد أن سبانى * حسبك رب السماء تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعد سقما بكى وعدد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا

فقالوا

فقالوا لنا غوصوا على قدّه وما * يحا كي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطي

ووردي خد نرجسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح بجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودّي له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف واحشاءي على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا

شبه السيف والسنان لعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذلك حاشا وكلا

وله أيضا

* بابي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

وقال آخر

تملك رقي شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بطرفه * خذوا احذركم قد سل صارمه الهندي

ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديري

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عياني غير محتجب
وذكرها انس روحي وهو نائبة * والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلني * ولا لواش خلى بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب الذ به * ومر هجرانها احلى من الضرب
فان نأت أو دنت وجدي كما علمت * تشيب فيه الليالي وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طللا حلت به سلمى معاهد * وحياه من دمعي مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتني صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عني ولم أزل * ويقظان طرف البين عني راقد

وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا في الحقيقة واحد
وكم قد مرحنا في مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو في قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل أنت ياسلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لي أم حاد بالقلب حائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن بالاوى * وقولك لا عاش الخؤون المعاهد
وهل أنت غيرت الذي أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذي أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد
واني ما بدلت عهدك في الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود أصرمت طرفه * فودي طريف في هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمري وجدي بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبي يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كوني انني بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندي الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك اعنتي * لقاد زمامي نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتي * فكيف خلاصي والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلي أخا الهوى * وهل يسلي ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى في المحبين كاسد
وجل مناي القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال عفا الله عنه

تهددني بتبريح وبين * وتوعدني بتفريق وصد
وتحلف لي لتلبسني سقاما * تهي جلدي به وتذيب جلدي
وترميني بنبل من جفون * فتضنيني و تصميني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدي
فقلت لها ودمعي في انسكاب * يفيض دما على صفحات خدي

ومن لي

ومن لي أن يقال قتيل وجد * واذ كر في هواك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

* سلوى عنك شيء ليس يروى * وحبي فيك سار مع الركاب
* ولم يمرر سواك على ضميري * ووجدي فيك أيسره عذابي
* ومالك عن سواد العين يوما * وما لسواد قلبي من حجاب
وما اخضرت دواعي الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابي

وقال عفا الله عنه

* قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وانحلنا بعد البعاد ادكارها
وعوجا بأطلال محتها يد النوى * فأظلم بالنأي المشت نهارها *
فقدنا بها ريما من الانس ان رنت * بمقلتها يصمي القلوب احورارها
* تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
* ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
* وليس لبدر التم قامة قدها * وماهو الا حجلها وسوارها *
* منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهم فكري لناظري * وأكثر ما يضني النفوس افتكارها
وهيج دمعي حر نار صبابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها *
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

ولمؤلفه رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وأن يدعو له بمغفرة ذنوبه

* نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال صبك سائلي
* فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
* صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
* يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي *
* الا يا سليمى قد أضربي الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشا وهو قاتلي *
كتمت غرامي في هواك ولم أبح * بسري فباحت أدمعي برسائلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى * فقد عاد لي حال له رق عاذلي
لعل تجودي للكئيب وتسمحي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي

عنى تنطفى بالوعدنارى واشتفى * فبالسقم اعضاءى وهت ومفاصلى
خفيت عن العوادلولا تأوهى * وعظم انيني لايرانى مسائلى *
فرقى فقدرقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * وما فزت فى الايام منك بطائل
فما آن ان ترضى على وترحمى * ضنى جسدى فالوجدلا شك قاتلى
توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل *

ولهرحمه الله تعالى

يا ربة الحسن من بالصدأوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
* ويافتاة بفتان القوام سبت * من فى الورى يا ترى بالقتل افتاكى
لقد جننت غراما مذرأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يومابرؤياكى *
ان كنت لم تذكرينابعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكى
ماآن ان تعطفى جودا على فقد * أضحى فؤادى اسيرا لحظ عيناكى
ماكنت أحسب ان العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل اهواكى
* حتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جوداواعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
ياهندرفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما اقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثى * وأنت ياهند لاترثى لمضناكى
* والله لومت ماأسلاك ياأملى * ولو فنيت غراما لست أنساكى

وقال آخر

* كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسيرأمام العيس وهوذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول
* وقائلة لى كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا اليه يؤول
* فقلت لها قدمت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
* وقلت فليلى طال هما فانشدت * وما زال ليل العاشقين طويل
* فقلت وجسمى لم يزل مترجفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
* فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ماالية سبيل *
* قلعت لعينى فى هواك بأصبعى * لكى لاأرى يوما على ثقيل *

وقال

وقال الواوا الدمشقي عفا الله عنه

❁ يا من نفت عني لذيذ رقادي ❁ مالي ومالك قد أطلت سهادي
❁ فبأي ذنب أم بأية حالة ❁ أبعدتني ولقد سكنت فؤادي
وصددت عني حين قد ملك الهوى ❁ روحي وقلبي والحشا وقيادي
ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا ❁ قلبي أسيرا ماله من فادي
لا غرو ان قتلت عيونك مغرما ❁ فلكم صرعت بها من الآساد
يا من حوت كل المحاسن في الورى ❁ والحسن منها عاكف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه ❁ ودعى السيوف تقر في الاغماد
❁ وتعطفي جودا على بقبلة ❁ فبهم مبسمكي شفاء الصادي
❁ ماتت أطال الله عمرك سلوتي ❁ ولقد فني صبري وعاش سهادي
❁ ومن المنى لو دام لي فيك الضنى ❁ ياحبذا لأراك من عوادي
❁ وأجيل منك نواظري في ناضر ❁ من خدك المترقرق الوقاد
❁ وأقول ماشئت اصنعي يامنيتي ❁ مالي سواك ولو حرمت مرادي
❁ الا مديح المصطفى هو عمدتي ❁ وبه سألقى الله يوم معادي

وقال البها زهير

اذا جن ليلى هام قلبي بذكركم ❁ أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى ❁ وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات أسيرها ❁ تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففي القتل راحة ❁ ولا أنا ممنون عليه فيعتق ❁

مجنون ليلى

وقد خبروني أن تيماء منزل ❁ لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي ❁ فما للنوى ترمي بليلى المراميا
❁ أعد الليالي ليلة بعد ليلة ❁ وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
❁ وأخرج من بين البيوت لعلني ❁ أحدث عنك النفس بالليل خاليا
❁ ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ❁ علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
❁ يمينا اذا كانت يمينا فان تكن ❁ شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
❁ أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها ❁ أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
❁ خليلي لا والله لا أملك الهوى ❁ اذا علم من أرض ليلى بدا ليا
❁ خليلي لا والله لا أملك الذي ❁ قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ❊ فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا ❊

ولو أن واش باليمامة داره ❊ وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وددت على حبي الحياة لو انه ❊ يزاد لها في عمرها من حياتيا ❊

على انني راض بان احمل الهوى ❊ وأخلص منه لا على ولا ليا ❊

اذا ماشكوت الحب قالت كذبتني ❊ فمالي أرى الاعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا ❊ وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت اطيف خيال زارني ومضى ❊ بالله صفه ولا تنقص ولا تزد ❊

فقال خلفته لومات من ظمإ ❊ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت عهدت الوفا والصدق شيمته ❊ ما برد ذاك الذي قالت على كبدي

كمال الدين بن النبيه

❊ أما وبياض مبسمك النقي ❊ وسمرة مسكة اللعس الشهي

❊ ورمان من الكافور تعلو ❊ عليه طوالع الند الندي

❊ وقد كالقضيب اذا تثنى ❊ خشيت عليه من ثقل الحلي

لقد أسقمت بالهجران جسمي ❊ وأعطشني وصالك بعد ري

الى كم أكتم البلوى ودمعي ❊ يبوح بمضمر السر الخفي ❊

وكم اشكو للاهية غرامي ❊ فويل للشجي من الخلي ❊

صفي الدين الحلي

❊ أبت الوصال مخافة الرقباء ❊ وأتتك تحت مدارع الظلماء

أصفتك من بعد الصدود مودة ❊ وكذا الدواء يكون بعد الداء

أحيت بزورتها النفوس وطالما ❊ ضنت بها فقضت على الاحياء

❊ أمت بليل والنجوم كأنها ❊ درر بباطن خيمة زرقاء ❊

أمست تعاطيني المدام وبيننا ❊ عتب غنيت به عن الصهباء

آبت الى جسدي لتنظر ما انتهت ❊ من بعدها فيه يد البرحاء ❊

❊ ألفت به وقع الصفاح فراعها ❊ جزعا وما نظرت جراح حشائي

❊ أمصيبة منا بنبل لحاظها ❊ ما أخطأته أسنة الاعداء

أعجبت مما قد رأيت وفي الحشا ❊ أضعاف ما عاينت في الاعضاء

أمسى وامست بسالم من طعنة ❊ نجلاء أو من مقلة نجلاء ❊

وله رحمه الله تعالى

قفي ودّعينا قبل وشك التفرق ❊ فما أنا من يحيى الى حين نلتقي ❊
قضيت وما أودى الحمام بمهجتي ❊ وشبت وما حل البياض بمفرقي ❊
قنعت أنا بالذل في مذهب الهوى ❊ ولم تفرقي بين المنعم والشقي ❊
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى ❊ ومزقت شمل الوصل كل ممزق ❊
قبلت وصايا الهرمن غير ناصح ❊ وأحببت قول الهجر من غير مشفق ❊
قطعت زماني بالصدود وزرتني ❊ عشية زمت للترحل أينقي ❊
قضى الدهر بالتفريق فاصطبري له ❊ ولا تذممي أفعاله وترفقي ❊

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج ❊ فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا ❊ في ظلمة الليل اغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمي ورد وجنتها ❊ بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالي بمغفرة ❊ فكان غفرانها يغني عن الحجج
جادت لعرفانها اني المريض بها ❊ فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدي لترى ما بي فقلت لها ❊ كفي فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتني فرأيت الصبر أجمل بي ❊ والصمت في الحب اولى بي من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة ❊ ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لنا حين هم السفر بالسفر ❊ وأقبلت في الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسي فجاد لنا ❊ وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد ❊ شبت فلم تبق من قلبي ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت ❊ والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر ❊ في ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحميا من مقبلها ❊ اذ نبهتني اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجا نحوي فانظرت ❊ من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وابدت لي سرائرها ❊ في ليلة الوصل بل في غرة القمر

وقال ابن الساعاتي

قبلتها ورشفت خمرة ريقها ❊ فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني ❊ رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الوأوا الدمشقي تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولي لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال في هواها سهرتها * أراعي نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثي عال في السهاد لانني * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يالائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت ان ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلي

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * ساد بفيها على الاراك
سواي ماذاق طعم ريقي * قلت لها ذاقه سواكي

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهي * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

وملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المنهاض
* قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال أبو الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا
* المنهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
* الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
ويسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسي فكنت الذائبا
* ياحبذا المتحملون وحبذا * واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن في مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم *

الشريف الرضي

* وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر وممسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خصباء منهل ثغرها * در وريقتها سلاف قرقف
وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
بأبانة قد أطلعت أغصانها * وردا جنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
* ما تأمرين لمغرم تسطو به * اجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالي الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديوي

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت اني بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفي ضرام في الحشا ولهيب

وكان هيامي والهوى وصبابتي ❊ لمن هو في الاولى الى حبيب

ولە في المعنى

تلاهيت عنها في الغرام بغيرها ❊ وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتي ❊ فأضرمت نارا في الحشى تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة ❊ تمسك بالموج الذي يتقلب ❊

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل لليلى ❊ وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى ❊ فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس ❊ ويعتاد المحب تغيرات ❊
فلا تظهر لها يوما سلوا ❊ فتفتحك التصابي الواردات
وترمي بالصدود وبالتجني ❊ وتحلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولاتك ذا لجاج ❊ فما يغنيك أن فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذي أم عمرو قريبة ❊ دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده ❊ اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا ابع حبيبك وابغ عنه ❊ حبيبا آخر تحيا سعيدا ❊
اذا كان القديم هو المصافي ❊ وخان فكيف آتمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قلت من وجدي لها غلطا ❊ ووجهها مشرق في حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة ❊ لتقرعن على السن من ندم ❊

وقال آخر

أمن المروءة ان ابيت مسهدا ❊ قلقا ابل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى ❊ وابيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن ❊ وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح ❊ بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فاكذب ❊ وأرى المحب وما يقول فاعجب

حتى

حتى رميت بحلوه وبمرّه ❊ من كان يتهم الهوى فيجرّب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدّها ❊ عشرا ومازاد يكون احتساب
❊ فمذ تلاقينا وقبلتها ❊ غلطت فى العدّ وضاع الحساب

وقال آخر

يامن سقامى من سقام جفونه ❊ وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه ❊ واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لى ❊ تهزأ بقدرى أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرنى ❊ حتى توهمت المساء صباحا

ابو عبد الله الغواص

من عذيرى من عذول فى رشا ❊ قامر القلب هواه فقمر
❊ قمر لم يبق منى حسنه ❊ وهواه غير مقلوب قمر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا ❊ من فوق خدّ مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت ❊ وتسترت عنى بقلب العقرب

وقال آخر

لومت من كثرة الاشواق وانبدلت ❊ مدامعى بدم من كثرة السهر
مااخترت عنك سلوا الا ولا نظرت ❊ عينى لغير محيا وجهك القمرى

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى ❊ ويصدع قلبى اذ يهب هبوبها
❊ قريبة عهد بالحبيب وانما ❊ هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلى

اذا اختلجت عينى رأت من تحبه ❊ فدام لعينى ماحييت اختلاجها
وماذقت كاسا مذ علقت بحبها ❊ فاشربه الا ودمعى مزاجها ❊

وقال آخر رحمه الله تعالى

ياذا الذى زار ومازارا ❊ كأنه مقتبس نارا ❊
قام بباب الدار من تيهه ❊ ماضره لو دخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فو العصران العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن أبى الوفاء

* يا نازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو *

الحاجبى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظما وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

* أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا ملالا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن اموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقادبى

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

* ولي فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

وقال آخر

* وما هجرتك النفس يا مي انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربي

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كي الغضى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

* اقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ماتي رحالها *
بحقك اخبرني أما تأثم التي * أضر بجسمي منذ مرخيالها *
فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى في الزمان تنالها *
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها *

وقال آخر

* بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن أبي الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا * فما هي بغير الهجر ترضى *

وقال الحسين بن الضحاك

بعضي بنار الهجر مات حريقا * والبعض اضحى بالدموع غريقا
لم يبق عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا *

وقال آخر

وأجيل فكري في هوا * ك بلا لسان ناطق

ادعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

* ياويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
* عزوا ومال به الهوى فأذله * ان العزيز على الذليل يتيه
انظر الى جسد أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه *
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

وقال أحمد بن طاهر

تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحاق مولى المهلب

* هبيني يا معذبتي أسأت * و بالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * علي اذا اسأت كما أسأت

وقال أبو العتاهية

* يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوت *
اذا اشتد ما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي وأسكت

وقال بشار

* يا قرة العين اني لا أسميكي * أكني بأخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم عيران يرميني و يرميك
* لولا الرقيبان أذودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
* يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
* قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي يا أحسن الناس انني * أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك ما لو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجر التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فادّ زكاة منظرك البهي
* وذاك بأن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي

فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر المنى في روضة الحسن ضاحك
* أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

* ألم تعلمي يا عذبة الماء انني * أظل اذا لم أسق ماءك صاديا *
ومازلت بي يا بين حتى لوانني * من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

أبو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

الوزير ظهر الدين الملقب بأبي شجاع

* لاعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
* ولاهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
* هي أوقعتني في حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وقال العتبي

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم *

الرفاء الاندلسي

ومهفهف كالغصن الا انه * تحير الالباب عند لقائه *
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر

مازال ينهل من صرف الطلا قمري * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
* وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق *
* فعائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق *

جاذبته لعناقي فانثني خجلا * وكلت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال آخر

بأركان هذا البيت اني لطائف * وفي الكون اسرار وفيه لطائف
* رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف
* وبي ذهبي اللون صيغ لمحنتي * يريد امتحاناتي وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبي اللون انك خائف

وقال آخر

أسني ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمال
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل في الرقباء

* لو أن لي في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر في التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابي

بسهم الحب كلم في فؤادي * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
* ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبي سلمة

* يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بامر عجيب
* أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
* بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها ياعلو هذا الذى تبقى *
ألم تعلمى أن البكا طال عمره * فشابت دموعى عندما شاب مفرقى
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتى وتحرقى *

وقال آخر

* ولم أر مثلى غارمن طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معى *
ومازلت أبكى فى دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض ادمعى

وقال آخر

رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

يانازح الطيف من نومى يعادونى * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها ياما جرى *

وقال آخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لا بد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
ادمعك جرقات لا تتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا تباكى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى

ولا تسمح بوصالك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه *

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح *
ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

* علانى بذكركم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

* قالوا أتر قد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * انى اعذبه بالدمع والسهر *

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر فى أولى تسايره *
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ما ذاك الالان الصبح نم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت ياليل أما فيك سحر

وقال آخر

ياليل طل أولا تطل * لا بدلى من سهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

وقال بشار بن برد

خليلى ما بال الدجا لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الهدى المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا *
فليلى تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال ابن منقذ

* لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وقال آخر فى ليلة ممطرة

أقول والليل فى امتداد * وأدمع الغيث فى انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

ومما جاء فى الاشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب *
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب *
* بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب *
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب

* بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن في لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا في الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
* بذلت عقلي صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب *
* بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب *
* بعث ألم فلم نعلم أفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
* بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب *

وقال أيضا

* تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
* تم السرور فقم بنا يا صاحبي * نستدرك الماضي بنهب الآتي
* تتوج بكاسات الطلا هام الربا * في روضة مطلولة الزهرات *
* تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتي * وفراغ راحاتي على الراحات
* تركي لاكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبدت بدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد بكف فتاة *
* تابع الى أوقاتها داعي الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
* تمم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

وقال أيضا •

* حي الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح *
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح *
* حاشى الانام وعاطني مشمولة * ظنت فسادي وهي عين صلاحي
* حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح *
* حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح *
* حجب الحباب شعاعها فكأنه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بأنك صاح *

وقال آخر

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا سيدي * تأتيك باسمة وأنت تعبس *

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب

ولكن

ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فميزما قد حلت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقي ومغربها في
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

وقال آخر

كأن الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب *

وقال آخر

فكأنها وكأن حامل كاسها * اذ قام يجلوها على الندماء *
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا في كوكب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجا فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها *
لست أدرى من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجا لما صدح
خفيت تباشير الصباح فاسقني * ماضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح *
تالله ما مزح المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح *
هي صفوة الكرم الكريم فما سرت * سراؤها في باخل الا سمح *
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أو افتضح *

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا * مازلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس يرينا آية الصبح في الدجا * فأولها شمس وآخرها بدر *
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر *
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر *

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا * والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا يا صاح صرفا * جليت بين الندامى * لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

صفى الدين الحلى

كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات

ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج

ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج *

مجد الدين بن تميم

* نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو المنى

ودع كاسها اطلسا * ولا تسقنى مع دنى *

تقى الدين بن حجة

حباب ماء عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر *

وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

أبو الطيب المتنبى

يا صاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضئ لنا من افقها الغسق

* خمرا اذا ما نديمى هم بشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق

لو راح يحلف ان الشمس ما غربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم

ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جوره ظلوم حكم

وقال آخر

* عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى

اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

برهان الدين بن المعمار

باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عنده عنابه

واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

جولان العاذلى

اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

وقال فى الشراب المطبوخ

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا *
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخسر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر *
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم يخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا على مداما * أخرتها الصبوحى * واستنكروها وقالوا * تحللت قلت روحى

وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكا
* وانظر لما النيل فى مده * كأنه صندل أومصطكا

وقال آخر

ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كان بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالباكى بأدمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
* فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نأتى الى القدح *

ابن نباتة

اما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
* وكان الثلج كالكافور نثرا * وناري بين نارنجي وراحي
* فشمومي ومشروبي وناري * وثلجي والصباح مع الصباح
* لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدوّ أو لقاء صديق
كأنّ الحباب المستدير بطوقها * كواكب درّ في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوّضت * قميص بهار من قميص شقيق

وقال آخر

* وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشابهتها * قدود سقاتنا في كل حال
فهات الكاس مترعة ودعني * أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لا شك يوما * يفرّق بينهم صرف الليالي

وقال آخر في الشراب على الغيم

* أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأي أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لي برطل

وقال آخر

فيابكر باكر بكرة بكر كرمة * تفز ببكور باكرتك بها بكر
وداوي خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبري

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل اقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
* حمراء مرقة صفراء فاقعة * كانما مزجت من طرف الوسني

يسعى بها غنج في خده ضرج * في ثغره فلج ينمى الى اليمن
في ريقه عسل قلبي به خبل * في مشيه ميل اربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * في طرفه حور يرنو فيجرحني
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدي لرامقه صنفا من الشجن
في روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن
يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح اناؤهاك وهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التواني والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب مواتي
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران في الجنات
ينسل في قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاتي
يسعى بها أعبل الروادف اهيف * خنث الشمايل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
* لو قسمت ارزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوي الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجري الدراري في مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره *
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقي لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
* مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدي جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
* تعلمت بانة الوادي شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
* كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها روت آيته الـكبرى لآمن بعد الكفر ساحره

خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرّت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعلل بالكؤس و بالقناني
ولولا ضيفة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا لخمار وقلنا له * احمل الينا جرّة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرّة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة لعلى * أن أخلط الهمّ بالزبيب

وقال

قالوا أترك الخمر واجتنبها * لاتتعد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل فى شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الأباريق

فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

وقيل فى شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز
ومن لى بحرب ليس يخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز
ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

وقال فى شرب الثلاثة

ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذا * يسقى وذا بالشرب مسرور

وقيل فى شرب الاربعة

الا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل فى شرب الستة

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فامك زانيه

ومما قيل فى الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه فى السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل فى قدح

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فأضحى فى المجالس حاكما
* قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور

ومن يرد السرور يعش هنيئا * اذا العيش المهنى هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههمو شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك وأشربها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
* حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
* كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
* لا صاحبتنى يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
* بادر بجودك بادر قبل عائقة * فان خلف الفتى عندى من اللوم

سيف الدولة بن حمدان فى ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض *
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فما بين منقض علينا ومنفض *
وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجود كنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدنى وصلا الذ به * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر فى ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
* فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيى بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ما سودت * عبثا بلام عذاره ونونه
* جد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

فى جارية ساقية

نديمتى جارية ساقية * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس فى يده

قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
* فاجبتهم كفوا الملام فانه * قمر يديره طرفه فى كوكب

وقال آخر فى مجلس انس

* ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام *
مافيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفى الدين الحلى فى عود

وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكانه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم *

وقال آخر فى زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم *
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل فى فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعدمن تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكانما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم فى شمعة

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
* ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك قال الشاعر

* هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب فى أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق موثق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لى * هذا هواك وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذى طله الندى * سحيرا وأوداج الاباريق تسفك
* فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

وقال آخر

أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها

فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تنجلي أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

أيا حسنها من رياض غدا * جنوني فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا *

وقال ابن تميم

وحديقة نساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * واظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي *

وقال آخر

قد سعينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

ومما قيل في الازهار والثمار قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب
الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة في الكاس تلتهب
سقيا له زائر تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وأزهار *
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت لئام الناس أعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال

وقال آخر

* اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح بطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاذبها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

ومما قيل في البنفسج قال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن باثمد

ولبعضهم في الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد في خد ذي غنج

وقال آخر

يا مهديا لي بنفسجا أرجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

وقال غيره في النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض *
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست * ودليل القول فيك * أن أوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام *
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام *

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد في زهره * وراح من أعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس *

ومما قيل فى الاينوفر لابن المعز المصرى

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب *
مفتح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ماشأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت مابال اصفرار بدا * فيك وماهذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

وماقيل فى البان

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسام الحرا
* أماترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وقال آخر فيه

أماترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس *
وفى بشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأبدت خده * اضعاف ماحملت يدى اليه

وقال آخر

* لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ماانشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق * فارقته ولزمته * فأنا الشقيق الصادق

ومما قيل فى المنثور

تخال منثورها فى الروح منتثرا * كأنما صيغ من درو عقيان
والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى

وقال آخر

قد أقبل المنثور ياسيدى * كالدر والياقوت فى نظامه

ثناك لازال كأنفاسه * ومخ من يشناك مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور اقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

ومما قيل فى الياسمين

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال آخر

رأيت الفال بشرنى بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى

سقيا الارض اذا ماغت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى

أفدى الذى زارنى سرا فأتحفنى * بأقحوان يحاكى ثغر مبتسم
* فبت من فرحى أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومما قيل فى الجلنار

وجلنار مشرق * على أعالى شجره * كأنه فى غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

ومما قيل فى الآس

أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الانفاس

ومما قيل فى الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمايل معشوق وذلة عاشق

وفيه أيضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذار تبدى فى سوالف أغيد *

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافها) فى الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حياك من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

وقال آخر

يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب * كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء

يا حسن ليمونة حبانها قمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب *
كأنها كرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه أيضا

وصاحب نادمته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق اغيد * قد اكتست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد * أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد

فى النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس *
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ماترى كالصولجان
أشبهها ثداء ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر *
تطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر *
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى

فى التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

وقال آخر فى تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدا محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

* وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بحمر فجاءت باحمرار اديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط و فرح

وفيه أيضا

أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل فى السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محبا شجاه للحبيب فراق *
اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال آخر

سفرجلة جمعت اربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل في الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
* لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر في معنى وقد *

ومما قيل في المشمش

بدا مشمش الاشجار يزكو شهابه * على غض أغصان من الروض ميد
حكي وحكت اشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

ماقيل في الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر *
تراه في أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

ماقيل في الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق *
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق
* حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
* كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ماقيل في الفستق

تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرّد *
سوى الفستق الرطب الجني فانه * زها بمعان زينت بتجرّد *
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ماقيل في البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج

فتفضل الظبي البهي ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا احمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

وممّا قيل في النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون * كانما النبق فيها * وقد حلا في العيون
جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون

وممّا قيل في اللوز

ومهد الينا الوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كانهما حبان فازا بخلوة * على رقبة في مجلس فتعانقا

في العنب لبعضهم

* هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذا وافتك من يده
نوعان من عنب جاءا على طبق * كان طيبها من طيب محتده
فأبيض العين يحكي لون أبيضه * وأسود العين يحكي لون أسوده

في قصب السكر

* ورماح لغير طعن وضرب * بل لأكل ومص لب ورشف
كملت في استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

وممّا قيل في البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء في لون عاشق
* فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم ببارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
فخيل لي شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

وممّا قيل في البطيخ الاخضر

وظبي أتى في الكف منه بمدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت في أكفهم * وقد علمت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
* وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج

وممـا قيل فى القثاء

* انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرد خضرا مالها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

وممـا قيل فى الباذنجان

وكأنمـا الابذنج سود حمـائم * أو كاره خمل الربيع المبكر
نقرت منـاقره الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

وممـا قيل فى الانهار والبرك والنواعير

أماترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس فى حافاتها اطلعا
والنهر من فوقـه يلهيك منظره * شهب سمـاوية فارتج والتمعـا
* كانه السيف مصقولا يقبله * كف الكمى الى ضرب الكماة سعى

وقال آخر فى بركة

يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
* فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنمـا الفضـة البيضاء سائلة * من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتهـا الصبا ابدت لهـا حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيـانا يباكيها
* اذا النجوم تراءت فى جوانبها * ليـلا حسبت سماء ركبت فيها

وقال آخر

* وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنهـا اذ صفت وراقت * فى الارض جزء من السماء

وقال محمد بن سارة المغربى

النهر قد رقت غلالة صبغـه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور تهزها الاعجـاز

وقال آخر

يوم لقـا بالنيل مختصر * ولـكل وقت مسرة قصر
فـكانمـا أمواجه عكن * وكانمـا داراته سرر

وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمـان

خليج كالحسام له صقـال * ولـكن فيه للرائى مسره
ورأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى المجره

وقال آخر فى النيل

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعى * فى غيظ من طلب الغلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى

وقال آخر

كان النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال آخر فيه

وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وقال آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

* ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال آخر فى ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وأنة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وابكى بافراد الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

وفيها ايضا قال الخطيرى

رب ناعورة كأن حبيبا * فارقته فقد غدت لى تحكى
* أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكى

ابن تميم

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
* كان نسيم الجو قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(فصـــــل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

لابن عفيف فى قاضى مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ * اذا رنا لى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال فى نقيه مليح

* وبمهجتى ظبيا غدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

وقال فى محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن * حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

وقال فى امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت أن وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

ابن الرومى وأجاد

بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة * عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

فى مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

لابن عربى

وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف أصغى لما يقول حبيب * واضع أصبعيه فى أذنيه

وقال آخر فى مريد

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

وفى فقير مليح

بى فقير يتغنى * بسنا وجه منير * لا تلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

فى أمير شكار لابن دانيال

* بى من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا * جنت اليه الجوارح

في مليح مغن

أضحى يخرّ لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا ابدا فكانما هو يوسف * واذا شدا فكانه داود

في مليح عوّاد

غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
* دني الي وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

في مليح كاتب

بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

غيره

وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقي * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

وفيه أيضا

ياحسن وراق أرى ختمه * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا

فديتك أيها الوراق قلبي * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

في مليح صيرفي

ياسائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه *
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

في مليح بخانقي

تسلطن في الملاح بخانقي * ولا يرضى ببدر التم نائب *
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

في مليح قرّاء

قلت لقرّا فرى أديمي * وزاد صدا وطال هجرا
قد قرّ نومي وقرّ صبري * فقال لما عشقت قرّا

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين

حبي المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

في مليح قصاص

أشكو الى الله قصا صا يجرعنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص يمناه فقلته * أيضا تقص علينا احسن القصص

في مليح صياد

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كرا كى

في مليح رامى بندق

واهيف القدذى دلال * طائرقلبي عليه واجب *
كالشمس في كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

وقال آخر في راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيقنى بالجدى نادبته * ما القصد يامولاى الا العناق

القيراطى في مليح طحان

حسن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه * خاف من واش فأضحى * يجعل الغمز علامه

القاضى بدر الدين البلقينى في تراب

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا * قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

وقال آخر في مليح عوام

ياحسن عوام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة في مليح حبشى

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا وونى بعد التجنب والسخط
وقال على الاثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد

وزائد قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد * مدحته فتجنى * تيها على بزائد

وقال آخر في مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كانت ❁ لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى ❁ فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد ❁ وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمي محبيه باسهمه ❁ فياله من حبيب قد شكا ورما ❁

لابن أبي حجلة في أعور

ماشان من أهواه عين أصبحت ❁ مقلوعة بمحاسن متزايده ❁
لولا استخف العالمين بأسرهم ❁ ماظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر في مليح راهب

❁ رأيته يضرب الناقوس قلت له ❁ من علم البدر ضربا بالنواقيس ❁
وقلت للنفس أي الضرب يؤلمكي ❁ ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

القيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما ❁ ان فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه ❁ بأنه اسم على مسمى

آخر في مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبي ❁ ويرثي لي وينظر في بلاءى
وأشفى بالمبرد من لماه ❁ وأجمع بين حمزة والكساءى

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادى ❁ غزال قد تحكم في قيادى
فتصحيف اسمه في وجنتيه ❁ وفي معسول فيه وفي فؤادى

في مليح سروجي

فتنت به سروجيا بديعا ❁ به قد ذبت وجدا من ضجيجي
اذا جذب الغرام له عناني ❁ يلذ لي الركوب على السروج

وقال آخر في مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم ❁ أنا الذي كنت في حمائه السببا
عانقته ولهيب النار في كبدى ❁ فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لابي نواس في مليح ألثغ

ومهفهف دنف الصبا ذى لثغة ❁ تصبو اليه ذوو العقول الرجح
❁ قبلت فاه فقال لي متخوفا ❁ من كاشح متدللا بالثا اتحى

وقال فى مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال فى مليح حائك

وحائك ياصاح أبصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحى لما * عاينت فى كفيه مأسوره

وقال فى مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشدنى مالى أراك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

فى مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

وقال غيره

* فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسى

الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كاتى يديه * وسلط كلبتين على غزال

وقال فى مليح سلم عليه

تنبا فيك قلبى فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

وقال فى مليح يرمى بالسهام

وظبى بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

وقال فى مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شادتجمعت المحاسن فيه
حتى كان لسانه بيمينه * وكان ما بيمينه فى فيه
وقال أيضا فيه
وأغن قدأبدى لنامن عوده * نغما اصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا
وقال فى مليح مشبب
* يانافخ الصور بل ياباعث الصور * من رقدة السكرلا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السروركما * ضمنت نايك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذجئت فى اللفظ والمعنى على قدر
وقال فى مليح ساق
وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
* أملكه قيادى وهورقى * وأفديه بعينى وهوساق
وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه
من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
ياطلعة الشمس الذى * جاء الصباح دليله
لم يبدوجهك قبله * الا ارتقبت وصوله * فلذاك اذواجهتنى * بل الفؤاد غليله
فى مليح قارى
نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
* فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا عليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف
وقال آخر فى مليح مكمل العذار
* وكامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ماتفكر فى لحيتى
وقال آخر فى مليح حجام
* كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه الألحاظ كليلة المشراط
(فصـــــل فى الالغاز)
فى غزال

اسم من قدهو يته * ظاهر فى صروفه * فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

في كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

في زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل *
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

وقال في طاحون

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الا كل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

في دواة

* ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما الذ قط لشارب *
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

في دواة أيضا

* وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاعى فى أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
* تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم *

وفيه أيضا

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

* وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
* ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

في مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * خزينة ماتراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكي دماء على ما سطر القلم

في كتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

في سلطان حسن لابن أبي حجلة

ما اسم محبب للقلوب لأنه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حبيبا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جاد لي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

في شبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
* مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب *
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لا سعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* تزوجها عشر وذاك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

* منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزرا *
وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

في دملج

الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

في خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه اضحى يدور على الكعب

في شعر اللحية

وذي عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق

يحاذر من موسى ويرهب باسمه ❊ وفي قلب هارون له الهلاك والمحق

في التين

أى شئ لذ طعما ❊ ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو وضوحا ❊ وهو في التصحيف بين

في الموز

ما اسم لشئ حسن شكله ❊ تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته ❊ واوا ونونا صار موزونا

في حمزة

من لى بمعتدل القوام مهفهف ❊ أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده ❊ وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا أهواه وأعشقه ❊ وطول دهرى أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادى دائما أبدا ❊ يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

في ساقية

وجارية لولا الحوافر ماجرت ❊ أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي أمهم ❊ وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيها أيضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها ❊ بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب ❊
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم ❊ وما كان شنق القوم الا بواجب

في زر وعروة

وما أخت يجامعها أخوها ❊ وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا ❊ وفي أعناقهم ذاك النكاح

في راوية

وسوداء تشرب من رأسها ❊ وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون اختها ❊ وثنتاهما واحد في العدد
وتحبل في الوقت هي واختها ❊ وفي ساعة يضعان الولد

في شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة ❊ يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما ❊ ثلاثة منها له شطر

في فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث ❊ وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات ❊ لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما ❊ رمت عكسا يكون لي ثلثاه

في بجع

ما طائر في قلبه ❊ يلوح للناس عجب ❊ منقاره في بطنه ❊ والعين منه في الذنب

في نار

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر ❊ له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا ❊ وليس له سمع وليس له بصر ❊
يجدلنا ما يختشي الرمح بأسه ❊ ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا ❊ ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قاري الابيات دونك شرحها ❊ والافهم عنها ونبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة بغير فم وبطن ❊ لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت ❊ وان أسقيتها ماء تموت

في يد الهاون

قل لي فاشئ برى ناعما ❊ منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة ❊ مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع في القعر له رنة ❊ ويظهر الصفق بأعلى مكان

وفيه أيضا

خبروني أي شئ ❊ أوسع ما فيه فه ❊ وابنه في بطنه ❊ يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه ❊ ولم يجد من يرحمه

في خشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق ❊ لها علم يحكي الملاحة بالظرف
وأولادها في بطنها في جماعة ❊ يكونون ألفا أو يزيدون عن الف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله ❊ ويقلبها عسفا على راحة الكف

في كوزبرة

وذي أذن بلا سمع ❊ له قلب بلا لب
اذا استولى على صب ❊ فقل ما شئت في الصب

في اسم علي

اسم الذي أعشقه * أوّله في ناظره * ان فاتني أوّله * فان لي في آخره

في موسى للصفدي

* وماشئ له حدّ وخد * بكلم من يلامسه بحقه
وكل حاقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن الفارض

مابلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

وقال في سمرقند

وما اسم سداسي اذا ماالمحته * ترى فيه أجزاء تذمّ وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله ياصاحبي له * على مدد الايام نشر معطر
وفي نصفه لما تحرّك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ماعددته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر انما ذا الالغزان كنت ذاحجى * فليس على ذي العقل لغز معسر

وقال في كمون

ياأيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل في سومك
تراه بالعين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

وقال في قالب الطوب

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

في العين

وباسطة بلاعصب جناحا * وتسبق مايطير ولاتطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما اشرت اليه ومانبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض ومافيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان

هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وامثلتها صفى الدين ابو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى * والمرخص الغالى ولو بسطت المقال * لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

فصـــــل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح

لابن المبارك

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذحل

دور

أميل له فلا يميل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذ زادنى النحول

أما حل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجمى المرحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد * ويعمد بهجره لا فقد * وأجهد لارتصاد من قد

تحل والحاسدون رحل * تمحل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذا الادعج

مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر معجل

دور

برغمى من يستحل ظلمى * ويرمى بهجره لسلمى * وجسمى من الترام سقمى

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمى وماحل

دور

قلانى واشتط ذا الفلانى * غزانى بطرفه اليمانى * ترانى أنشد لمن يرانى

قد انحل الجسم أسمرا كحل * واوحل القلب فيه مذحل

لابن سناء الملك

كللى ياسحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك المنعطف الجدول

دور

ياسما فيك وفى الارض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهى ماتهطل الا بالطلى والدما
فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تتقد كالكوكب الدرى للمرتصد * يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد
فاتئد ياساقى الراح بها واعتمد
واملى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا اهيم الا بهذين فقم يانديم
واجل لى من اكؤس صيرت من فوفل * ألذلى من نكهة العنبر والمندل

دور

خذهنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى * واسقنى على رضاب الفطن الملسن
والهنى ببعض ما صيغ من الالسن
لوتلى مدح سناه مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت
طولى ياليلة الوصل ولا تنجلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم * فالالم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

وله أيضا

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى * بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوى عنك يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

دور

لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا لجفا المنام * فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النحول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

دور

تلقته الموالى والموالى * بألحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

وله أيضا

شمس المحيا أم القمر * أم بارق الثغر بالبشر
أم البها حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم تباها عما تباها ولا تلاها

قفلة

فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
* اذا سقاها مع الضرب * بدر بافق الجمال ربى

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذ سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب همو بالمنحنى
فارقوني ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى
قلت ياقلب صبرا ماصبر * والنبي ماالهوى الاعنا
ما كتمت الهوى الاظهر * من شهود المدامع والضنا

دور

ليش تمنع وصالك ياحبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسيمه فى هواك
لست ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

دور

ياقمر فوق غصن من نقا * اتحفتنا مطالك والصدود
يارعى الله ليلات اللقا * ليتها ياخل يومالى تعود
ليلة السعد مافيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات واوقات الهنا

غيره

حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن * جسمى مقيم على المساكن * وعنى الحب صار ظاعن
مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا * كأنها البدر اذ تبدى
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا * فقلت شمس تزور ليلا
ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

دور

وسدتها ساعدى لسعدى * وبت أرعى رياض ورد * وخمر ريق كذوب شهد

لو

لوذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

دور

لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما * قالت كلمت الخدود لثما

ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير نومى وشيل ساقى

فصـــل فى الفن الثالث وهو الدوبيت

لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله

أهوى قمراله المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق

تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبينى فرق

وقال أيضا

أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ غاب تصبرى ما لبثا *

ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا

* عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى

واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال أيضا

روحى لك يا زائرا فى الليل فدا * يا مؤنس وحدتى اذا الليل هدا

ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح

عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

وقال آخر

* اهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف

ما أحسن واو صدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهبت لبعد كم راحته * ما الصبر على بعاد كم عادته

* بنتم فرثى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقى الا هو

ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربى الحمى ولاحت نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

فصل فى الفن الرابع وهو الزجل

حمل للغباري

قل لغزلان وادي مصر والشام بقصر واذا النغار
لم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا ابيض وذا احمر وذا مليح اسمر لو عيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان اهيف قوام قدو قد الاغصان جهار
وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق لكم قلنا والحسود راح بنار
أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا اصحاب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا اقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار
وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

دور

حسن حبى الفرارجى فرجه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما اعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح

ومن البيضه قد خرج نافر ردّ جفني بنار
وجفاني وخد بياض جسمي خلطو بالصغار

دور

وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم ياساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذارا عروس
عروس لها صفو النسيم والطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها في كاس زجاج ابيض فاكتسي باحمرار

دور

خمر فيه سر لو جعل اشياف ردّ الاعمى بصير
اقطع القطف اسود يحاكي الليل شفق احمر يصير
يا ترى دا السر في كرمه أو يكون في العصير
وترى النور دا عليه يلمع ذاك من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكي ياسمين من كساه جلنار

دور

فهو عطار عندو شراب هندي وبراني جفاه
كل من مض من اسنانو ريقوا يلتقي فيه شفاه
ورد خدو وحبة سودا شبه خال في صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار
في المحبا غاروا على حسنو وكل من حب غار

دور

دوّروني الملاح على كعبي ونصبوا نصوص
بلا دعوى التيف لف السير في هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ما رأوا خلف له همه ولو اصطبار
قمروني في عشق هذا القمر والمحبة قمار

دور

لحبيبي ثغر من جوهر والشفيفتان عقيق
وعوارض ما ضرهم عارض غير نبات الشقيق

وخدود وردمن غيرنمش ۞ ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر ۞ تحت أهداب غزار
فى صفا وجهو أنزه طرفى ۞ عند خلع العذار

دور

فى رياض صفوف من الازهار ۞ قابلتها صفوف
كيف لاترقص والنسيم بهاموصول ۞ وورقها دفوف
واعجب من النهر اذا صفق ۞ لومن الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جاالنسيم ۞ طار أعلى مطار
باختلاف الالحان سحرفى الروض ۞ صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام ۞ والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل ۞ والحرام والحلال
نبى من بين أصابعه تحقيق ۞ نبع الماء الزلال
ولوأن النبات جميعه أقلام ۞ والمداد والبحار
والخلايق تكتب مديحوماه ۞ كل كاتب وحار

دور

خلف استاد فى الفن ماينطاق ۞ ذاق عداه المنون
مايعيبو فى الفن غير ناقص ۞ عقل زايد جنون
شيخ مصدر لبيب قيم ۞ فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع ۞ فوق رؤس الكبار
واهل الفنون تجرى ومالحق ۞ للغبارى غبار

غيره لناصر الغيطى .

كنز روضى طالبو يسعد ۞ ياخليع قم فى دجى الاسحار
تلتقى در الندا يرهج ۞ فوق فصوص غرائب النوار

دور

* كنز روضى نزهة الطالب ۞ جوهر وبين الندا يرهج
* ولجين الماينكسر ۞ ياخليع هيا تعا اتفرج
* بين عنابر تلتقى الخلع ۞ كل حذ مع الفويذ رج
وامش فى عرض الرياض وارتع ۞ بين اغصان وماواطيار

فوق

فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده احكت لنا دينار

دور

* وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان

* والشعارير لابسين اسود وقلانس كنهم رهبان

وكذا الكتان وهو أصفر بعمائم زرق للناس بان

وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار

والقطيع الراهبي يحكى لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق

داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق

ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق

والمليح عندى وانا مطمئن وسط روضا زهرها معطار

فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار

دور

وعمل فى الروض سمع باكر بين الاغصان والزهور انغام

والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كثر وجدو هام

والنخيل باكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اعجام

والعصافير شيخهم زيق لو طريق بين الازاهر طار

والبلبل بالغنا يشجى فكأنو ناى أو مزمار

ناصر الغيطى دور

* صحبت انسان انكر الصحبه وعادانى

وبغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى

فى بلاد قبلى وارض الشام يشكرونى ساير اقرانى

والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار

والبلط يوقع لو انعلق مايحصل شى مع الشطار

للغبارى

جار حبيبى فقلت دا الحجاج جا يجور أو يزيد

لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

دور

أقلع القلب في هوى العشاق ° والدموع في انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت أحسب قلبي معوزا ايش غرّقوا ذا البحار
صحت لما وحلت يا محبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

❁ انا يوم في الغبوق باتفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
❁ نظرت مقلتي الى منظر ما الحسنو نظير
قلت ياعين ان غزلك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في فخاخ شباك عشقو وكرا كي يصيد

دور

من نحبو واجد يد حبيب قلبي يوم صد فتوا صدف
قلت لين ياقاسي لمن دمعوا سال وحالو وقف
دار وقال لي ما الاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد
في الحقيقه من لا يكون داود ما يلين لو الحديد

دور

لك عوارض في الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار حماق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وأنت دوبيت موشح القاما يا عزيز الدلال
❁ ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
❁ وبشعرك متوج القاما وانت بيت القصيد

دور

❁ عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار ❁
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب لاصفرار
❁ وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
❁ في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار قيد فيه وقيد

دور

دور

من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ما طفى
وانا هو الغباري في العشاق ماجرى لي كفى
حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جا يجور أو يزيد
❋ لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب يا عيسى امسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك واكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدي بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو احرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت في خدو النقي العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو وقلت يا كسلان
هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني انا نعسان

دور

❋ بدر شعبان منيتي لما في بروج السعد لاح نجمو
❋ قلت لو اقضي بفيض دمعي اطلقو واجراه على رسمو
❋ قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد اذنب حين قطرتوا دايغلط قول بالبهتان
قال لي صوم عن الوصال ناديت ليش اصوم يا بدر في شعبان

دور

❋ حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسباني
❋ ضحك فابيض واتبسم واسوداد شعري وابكاني
وحين أضحيت باصفرار لوني أشعث اغبر في هواه عاني
❋ قال لي لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدمعي طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت في هواك ذقت الهوان الوان

دور

قلت لو حين عني تخلف لله كن لي يا رشيد مهدي

قد تلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي
دار الى انسان مقلتي قال لو أنت ماعندك نظر بعدي
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال ياقتان
جرى الماتحت من بعدك راقب الله فيا يا انسان

دور

ذا الغزال النافر الانسي للغزاله قد اعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاجبروا للكاسر المكسور
* و بجمر الدن قد عربد وادّعى انى انا المخمور *
* وابتسم لى عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان
* صحت يا قلبي صفا وردك أنت مابين النقا والبان

للصفي الحلي

أنت ياقبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

* أنت شاما بين الانام الله يحرس شما يلك
* ويزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك
ماينطوي ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
* قد بقينا بك في امان الله يحييك طول السنين

دور

مارأينا تحت ذا الفلك من نداكفك أعم
* كل من جا يسألك ليس تقول له سوى نعم
* أملك أنت أو ملك ضاعف الله لك النعم
أنت في الجود كالغمام وسماك فوق ماردين
درغيثك في انسجام عم كل السائلين

دور

* لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
* كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنا

حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين
* وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغره عشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو اعين ولام وميم

دا الى قد هواه قلبى صاد وباء ويا | مليح ما رأيت مثله ظا وباء ويا *
ما احلاه عندما يلبس قاف وباء ويا | ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد
لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد | النوم من جفون عينى خاء ولام وصاد
واصبحت وجود فكرى عين ودال وميم | قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال
اعدل فى الذى صبروا نون وفاء ودال | ولا تهجر العشاق باء وعين ودال

ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

حمل فى الالغاز

المطلع فى العين

* وماطير أكلوا الجريا كرام * وجوهر حبابه يفسد اهل الصلاح *
ولمس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور فى السراج

ومابحر ماهو ما وفى الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شئ صفات حيه بلا وكرا ستقيد * لها جوهرة فى فمها يارفيق *
بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور فى جوزة الكنافة

وما هى التى تركب على ستين الف * وما مثل ذالك فسر لنا ياخبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير
لها عشرة اعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير
لها فحل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
واكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

دور فى الغربال

* وماهو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيي اصول الحيا
* اذا غاب عن اهله فرديوم ماهون * ولا حد يعوض موضعه لوعيا
* وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكايد بحاجه فى المسا والصباح
* ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شأن فنونه دول فنونه ملاح

الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى فن تلك الاربعة واحدة لصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت اضواك قد غارت

وقال أيضا

سل مقلتيك الكحال عمن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

وقال آخر

قد اوعدونا الغضا بانا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

وقال آخر

قسما و بالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لوحل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ما تبقى فى أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقه * سقى المدام اوان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه ريت بعينى فى الدجاجين * اثنين مثل البدوره فى الدجاجين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

وقال

قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لطلا هاطال لماسر * وسارلماحواحمرا مكلل در

مدام لو طعم كله حلو وما هو مر * ما حل مملوك الاصار ما لك حر

غيره حر بى

لك يا امام الوغى فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع و ينفى الكرب
هذا و لك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى و كفك لا يمل الضرب

الصفى الحلى فى المدح

أغنت و أفنت كفوفك فى الندا و الحرب * فى القرب و البعد من فى شرقها و الغرب
و فيض جودك و سيفك بالعطا و الضرب * ذا الكرب فرج و ذا رمى فى القلوب الكرب

و قال أيضا

من قال جودة كفوفك و الحيا مثلين * اخطا القياس و فى قوله جمع ضدين
ما جدت الا و ثغرك مبتسم يا زين * و ذاك ما جاد الا و هو باكى العين

و قال فى التهنئة

* رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * وريت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
و ريت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * و الكل بالكل اولى مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت و أسياف الجفا سليت * و مذ توليت عن طرق الوفا وليت
* لما تمايت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

و قال أيضا

يا قلب ان غدروا فاغدر و ان خانوا * فخن و ان هم قسوا فاقسا و ان لانوا
فلن و ان قربوا فاقرب و ان بانوا * فبن و كن لى معاهم كيفما كانوا

و قال آخر

حلف على يا حكاره ان يقاطعنى * و صدعنى و أقسم ما يطا و عنى
كم ذا يصدو كم يرجع يصدعنى * ان كنت أنا هو المطلق لا يراجعنى

و قال آخر هجو

قطع قفا ابن اخت خالك و ابن أخو عمك * و الحق يصفع ابو بنتك او ابن أمك
* و ان تكلمت تصفع تا يسيل دمك * و ان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

و قال آخر

* ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن و لا تقنط و لا تمرح
و استعمل الصبر لا تحزن و لا تفرح * و ان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

و قال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ماغرك *

وقال آخر

ياقلب ان خانك المحبوب لاتدبر * عنو وقصتك بالسلوان لاتخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ماخاب الذى يصبر

الفن السادس كان وكان وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الثانى فمنه هذه الوعيظات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر * ومن حرارة وعظى قدلانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك * ليتك على ذى الحالة تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل * فكيف يامتخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه يافتى وافهم مقالى واستمع * ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك بعلمه * وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع * مافى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال أيضا

* صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده * وقل نعم انا عاشق صادق بلاتمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر * انا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى * حاشا لذاك النظر من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى * وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى * وفيه عزى وذلى بمهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر * هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى .

شهرت طيرى فى يدى وقت حتى انصب شرك

ما كل صيد يحصل   يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى   لوردت مثله ماحصل
وهو على معود   وانا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلقى   لبرح غيرى ماعرف
كاننا فى الصحبه   جينا على ميعاد
من قبل ماابصبص لو   يجى ويدخل مصورى
وانا ارصد وفى مطاره   خائف عليه ينصاد

وقال آخر

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى
الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم متى حال الجلاده والقوى
وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه
ما اكثر مغابن حبيبى وما اقل وفاه
انا عرفتو حظى وكل ما أحسن لو يسى
لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

وله فى الفراقيات

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى
لا اوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وانسكم فى خاطرى
والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى وما بقى فيا رمق
هيهات انى احيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى
اعد بين الاحياء وانا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم
ايش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
ما مر ماريت ضدى يقول لى من فرحتوا
هنا تشق المرائر وتسكب العبرات
لو لم اسل روحى واروض نفسى بالمنا
لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اضعانكم
اخفض جناح المذله وارفع الاصوات
طول الليالى أسهر كنى أريد الكيميا
أقطر الدمع منى وصعد الزفرات
ما اطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه

وما أقصر أيام وصلي كأنها ساعات
مالي أرى حسناتي بالسيئات تبدلت
وسيئات الاعادي ابتدلت حسنات
خالفتموني وعمري مازلت أتبع أمركم
كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو ويفعل الله مايشا
والدهر من عاداته يقلب الحالات

الفن السابع في القوما قيل أوّل من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرّف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أوّل ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فلما وصل الى القوما كان أوّل ماقاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات
أنا بني ابن نقطة * تعيش أبويامات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لابيه

ومنها للصفي الحلي

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
* يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
* اشراقها في المعاجر * وغربها في الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من ابصر * خيامهم والخدور
* نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضي بضيق الصدور

غيرى يلزم الصدور * وانا عليكم أدور
واصطلى الصدّ وانا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

* حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور
* يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سرحبو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفى العطا لاتجور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور
مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحدور * هو فى الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبه وعور * كم بينها مذعور
من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مدعور * فى حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفور * كالظبى انس نفور
من اهل بدر قديته * ايش ماعمل مغفور

ومن ذلك مانظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وانت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رايه سديد

ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لا زلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد
ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
ونبعث اوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد
وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد
ولا برحت موقى * كما يوقى الوليد
ما زال برك يزيد * على اقل العبيد
ومابرح جود كفك * منا كحبل الوريد
لا زال برك مزيد * دائم وبأسك شديد
ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

وماقيل فى فن الحماق

أناماعبورى الحمام * لجسمى حتى ينظف
الا لدمع جارى * على الماولا يوقف
وذيك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها
تقول الانام فى الحمام * لواحباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفو
فاسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفوا
وان زاد على عشقو * وزادنى الهوى والذل
تركتو ولو يحيى * أهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما اشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ماتبتهج به النفوس وتقرّبه العيون واحتضرت ذلك الى الغايه فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهايه واسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج ان يرغب فى ذات الدين وان يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان ازوجها له قال زوجها من يتقى الله عزوجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب افواها وانتق ارحاما وقالوا اشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وانشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم ❊ اشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ❊ نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها ❊ حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه ❊ حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا ❊ بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان واخبرنى جوابه

فصادفه بن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموع وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر في أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وانشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وانهم ليسوا كما يحب فقال له ولده احمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن يحببن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لاولى الالباب مختصرا
صبية ذات دين زانه ادب * بكر ولود حكت في حسنها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى اجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة * أحاط علمابها من في العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز ووطأها * فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم ان العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى انه لما حضر ابو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا

وحرما

وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوزن به
رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان في المال قل فالمال ظل
زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله
وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن
حجر الكندي الى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها
أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أي بنية انك مفارقة بيتك
الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه
فكوني له أمة ليكون لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الاولى
والثانية فالرضى بالقناعه وحسن السمع له والطاعه وأما الثالثة والرابعة فالتفقد
لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم انفه منك الا اطيب الريح وأما
الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبه وتنغيص
النوم مغضبه وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء الى حشمه وعياله وأما
التاسعة والعاشرة فلا تعصين له امرا ولا تفشين له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت
صدره وان أفشيت سره لم تأمني غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما
والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فحبت وولدت له الحارث بن عمرو جد
امرىء القيس الملك الشاعر وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال لقيني شريح
فقال لي يا شعبي عليك بنساء بني تميم فاني رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن
قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية
كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت اليها واستسقيت ومابي عطش فقالت لي أي
الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فاني اظن الرجل
غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هي زينب بنت جرير احدى
نساء بني حنظلة قلت هي فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان
كنت كفأ ولم تقل كفؤا وهي لغة بني تميم فتركتها ومضيت الى منزلي لاقيل فيه فامتنعت
مني القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخواني من العرب الاشراف علقمة والاسود
والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك ابا أمية قلت زينب ابنة أخيك
قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت في حبالي ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء
بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت اطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت
ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت
علي فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها ان يقوم ويصلي ركعتين ويسأل

الله تعالى من خيرها وتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوءى وصليت فاذا هي تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جوار يها فأخذن ثيابى والبسنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك ابا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده واستعينه واصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى باخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمراً كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله احمده واستعينه واصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظالى وان تدعيه يكن حجة عليك احب كذا واكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملنى اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه اكرهه قلت بنوفلان قوم صالحون وبنوفلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا انا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة ام حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فاحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت ابا امية ان المرأة لا يرى اسوأ حالا منها فى حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما او حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم اشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد ادبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب ان يزورك اصهارك قلت ما شاؤا فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم ❋ فشلت يمينى يوم تضرب زينب ❋

❋ أأضربها من غير ذنب أتت به ❋ فما العدل منى ضرب من ليس بذنب

فزينب شمس والنساء كواكب ❋ اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على ألفى ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر

فلما

فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن اخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتخذها قال وفي هذا اعتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس ان لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين اما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت ان تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله لا أنساك ما ذر شارق ❊ وما ناح قمري الحمام المطوق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ❊ ولا مثلها في غير شئ يطلق

لها خلق عف ودين ومحتد ❊ وخلق سوى في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * اكر وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكه ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكه فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا اني لاحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحارث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى اني اخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن هو قال اوس بن حارثة بن لام الطاءى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا اوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحارث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل اوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحارث بن عوف فقالت فمالك لا تستنزله قال انه استجهلني قالت وكيف قال لانه جاءني خاطبا قالت ألست تزعم أنه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتني وانا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت قال فركب في أثرهما قال خارجة بن سنان

فوالله انا السنير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحارث وهو ما يكلمني هذا اوس
في أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث اربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك
الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته
ادعي لي فلانة اكبر بناته فأتته فقال لها أي بنية هذا الحارث بن عوف سيد من
سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت ان ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال
ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجار
لك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة
قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا ابنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل
جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل
ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم
تذكر لهما مقالتها فقالت له والله اني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني
فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارثة بابنتي
هنيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها ان تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب
له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له افرغت من
شانك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي
هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم
فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت
ولم قال قالت أتفعل بي كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم
وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لأرى همة وعقلا فقال صدقت قال
وأرجو الله ان تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل
عليها وخرج الي فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها
أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت من الشرف
بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت اتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا
وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم
ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لأرى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج
بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى ثم تؤخذ
الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها
فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان
من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض

أصحابنا ان رجلا من بني سعد مرّت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي
اصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فانشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت اسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

* الا انما ابغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
* كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم احسن مواساة والغرائب انجب وما ضرب روس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرءا من يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال

وقال الاصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن أخى أما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لا تعرف حتى تطيل فى نسبها فاياك ان تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

❊ ألا بلغوا ام البنين بأننا ❊ غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد ❊
بعيد مناط المنكبين اذا جرى ❊ وبيضاء كالتمثال زينها العقد ❊
❊ فهذا لايام العدو وهذه ❊ لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره منى السلام وقل له ❊ غنينا واغنتنا غطارفة المرد
اذا شئت أغنانى غلام مرجل ❊ ونازعته فى ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه ❊ الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم ❊ شهودا فتقضوها على النأى والبعد
❊ فعجل الينا بالسراح فانه ❊ منانا ولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم ❊ وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان اول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل وأحقر من ان أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى تعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس

وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ادع لى امرأة لا تونس جارا ولا توطن دارا يعنى لاتدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار

خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن قحطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ برداتها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

ايا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال

دعانى اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال *

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * نوافق عند الاكرمين نوام *

نوافق عند المشترى الحمد بالندى * نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحارث بن هشام قال كانوا من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

حمرة خالط صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال على بن عبد ربه

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت ان ينجب ولدك فأغضبها ثم قع عليها

قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كان لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلي لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك ان تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر

فياليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خرْقها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه السلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام أتى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة واطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فالثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فالثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فالرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقالوا النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى اعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء وقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن
فرضا ؤهن جميعهن * معلق بفر وجهن

وقال على رضى الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن ومايردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله عنه ذل من أسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته سيرين زوجته فقال لها ماذا افعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتنى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت وقال عمر رضى الله عنه أكثر والهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسألة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل فى الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضى الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضى الله عنه ما رأيت نهما فى النساء الا عرفت ذلك فى وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملأه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها يقول

انا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز
وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال

ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك أنه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد بن أخى الاصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى ان رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الامن قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبى فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازنى بعلك فأجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضرانى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله عنه ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا ❊ ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه ❊ فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا ❊ وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان

منه فدخل عليه اشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

اسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها اشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له مابدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لا اعتقتك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر منى احدى ثلاث اما ان اقتلك واما ان أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار
فأصبحت الغداة ألوم نفسى * بأمر ليس لى فيه اختيار
وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت بها يمينى * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه امره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول

فنى صبرى وعاودنى رداعى * وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيا للناس للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع
* كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاى غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى

بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاى ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هى لك قال فهى اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسى علينا نفسك وانشأ يقول

* ياشيخ ياشيخ من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها)

قد أنزل الله تعالى فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله عنه فأخذ لحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من القينات والعرب الكرام
أيوعدنى ابن كبشة أن سنحيا * وكيف حياة أصداء وهام
* أيعجز أن يرد الموت عنى * وينشرنى اذا بليت عظامى
* ألا من مبلغ الرحمن عنى * بأنى تارك شهر الصيام
* فقل لله يمنعنى شرابى * وقل لله يمنعنى طعامى *

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وممن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع أمية بن الصلت الثقفى فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ منى الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له

عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لأخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا ابرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وفاق قال مالي هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال اكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ننادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدي اسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني ذلك الا عقلي وانا اكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن انا امنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم عن شئ ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا اشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما انه يهضم من دينك وعقلك اكثر وقال ابن أبي اوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة ❊ فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فاني رأيت الخمر شينا ولم يزل ❊ أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

❊ ولوث نبيذ الخمر في كل بلدة ❊ فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى ❊ وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينا أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل اناس يحفظون حريمهم ❊ وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة ❊ ولكنني بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائى

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

وقال الصفدى

دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينه ويزيد بن هارون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد ومن المجون فى ذلك ما حكى ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناس بعرداس بن خدام الأسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقال
قرعت بام الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

الباب الخامس والسبعون فى المزح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول

(الفصل الاول فى النهى عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على مامزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال

قالت لى أمى لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت امالك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الإشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا بأس بالمزح مالم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه السلام فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحى فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بى ويروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا بأس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن أنه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال عليه السلام لا أحملك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه

بنات وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوما بمخرمة ابن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فأخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المنور هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السايب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الواعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعدما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فأول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت اني لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النساء في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحا مولاي أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتوني بها تكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على النأي مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

انبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) اما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان ابو القاسم الكسروى يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديقى فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

ارض مربعة حمراء من ادم * ما بين حرين معروفين بالكرم

تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم

فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الغلمان) ما حكى ان غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصوالجهم فمازالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا واهدر دم الاسقف والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء أعرابى فقال يا أعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم

أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا أعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا أعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابى الركوة فوكأها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد أعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال أخرج عتيقا وادخل جديدا واقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابددن شمله بالاسفار وسمع أعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته ✽ وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر أعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه أفرجوا الاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان اطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن ان طنبا من اطنابك قد انقطع ورؤى أعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها فى الصيف وسرق أعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد وصلى فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر أعرابى مجلس قوم تذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة اتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام وسرق أعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعى قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

ايارب ان البرد اصبح كالحا ✽ وأنت بحالى يا الهى أعلم

فان كنت يومافى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم
قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ اماتستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ماعشت عاريا * عشاء ولاوقت المغيب ولاالوتر
ولاالصبح الايوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * اصلى له مهما اعيش من العمر

قال فاعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كاناعلى ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لاتقوى على ثنى ركبتى
ولكننى استغفرالله شاتيا * واقضيكها فى وجه صيفتى
وان أنا لم افعل فأنت محكم * بماشئت من صفعى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى أعرابى مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان اهلكنى الله ومن معى أورحمنا فقال الاعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ماطاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت ياأختاه مازال الامام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى أعرابى خلف امام فقرأ الامام الم نهلك الاولين وكان فى الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لارأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطاشنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ماخلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلاشك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم

احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى أنه كلب فقال انظروا ماهذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مزربان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ماصنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى * ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وولج فى عطيته الشبابا

اما فى مال رفدك من زكاة * فيدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى أن عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم مافيكم من يعرف أباه وصلى أعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يافقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم أعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابى ما أعجبك من حدثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ماصفة الاير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك اجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله

فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور * وفضله المشهور * ومعروفه المأثور * واحسانه الموفور * قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل قوائم حمارى فى حرامه وأرجع الى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدمة والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى أنه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

(الفصل الثانى فى نوادر القرّاء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم فى أى سورة ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك فى أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لا شريك له فقال فى سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسبقتنى يدى اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى

فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ❋ ودقة ساقيه ❋ وضعف ركبتيه ❋ ونتن ابطيه ❋ وبخرفيه ❋ وجمود كفيه ❋ فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث فى نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والأزقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شئ نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والترويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضى ألمثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والملع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وماتروحوا من هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاش تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والملع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه ❋ وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل وأحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر

ولا

ولا يصلي فأنكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني اقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر احفظ آية منها وهي

فارحمي مضنى كئيبا * قد أرى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى أبي صمصامة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعي ألك بينة فقال لي شاهدان فأحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدي عن صناعتهما فأخبر أحدهما أنه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف انا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت ان أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدي ان امرأتي قحبا نا فقال له القاضي طلقها نا فقال عشقانا فقال قودها نا وادعى رجل عند قاضي على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حقي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالي وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه انا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكي) ان تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد ان لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون ان محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل

انه فى الجامع الفلانى يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفى حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضى وأخبره فجاء الى القاضى فدفع الباب فانفتح فوجد القاضى نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضى لم تقول هذا فأخبره بجميع مارأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صبيا يؤذن مكانه فهو يقول ماسمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه مايؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه فى مصالح الجامع وأما الغلام الذى رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندى أنه بلغ فأنا امتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

(الفصل الرابع فى نوادر النحاة) وقف نحوى على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرزز بالأعسل والأخلل بالأبقل فقال بالأصفع فى الاروس والأضرط فى الأذقن ووقع نحوى فى كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءنى قتلنى فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلنى عنك الا فلان فانه دعانى بالامس فأهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج فصاح أبوه غمضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحى وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله فى بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس فى نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا

طويلة

طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ماهذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم (حكى) الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت انظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فأمسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال لها اما أن تنتهي والافعلت بأمك فقالت يامعلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ماشئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها امام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت احب ان أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله ياسيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم ياابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع ادخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال ياابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف اكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ انه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وماهم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على احسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ماتريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت

وماهومنك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن أني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم اني كنت جالسا في هذا المكان وانا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

ياأم عمرو جزاك الله مكرمة * ردّي على فؤادي اينما كانا
لاتأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه مافي الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها واغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت ياهذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قدقويت عزمي على ابقائه وأول ماابدأ ابدأ بك ان شاء الله

(الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ادّعى رجل النبوّة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ماالذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما اجعل أصحاب هذه اللحاء مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا انا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل في أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ وتنبأ رجل في أيام المأمون وادّعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال ومابراهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال ومابراهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهي على أصعب من

الاولى قال فبراهين عيسى قال وماهى قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام مايخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال انا أحمد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين انا أحمد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبى قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وانا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر انكحها تحبل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما انا فأشهد انه نبى الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القشيرى وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك ألا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى انى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبى بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله وصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

(الفصل السابع فى نوادر السؤال) وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال

السائل ياقرنان كنت تصبر لعلى جئت أدعوك الى وليمة وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا مانقدر عليها قال فقليل من برّ أو فول أو شعير قالوا لانقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لانجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال

(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن مانسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى اسمع صوتى من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع اذانى أين بلغ واختصم رجلان فى جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ماتحفظ الاذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام نعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى اسمع غاغة فى البرحلى قلوعى واعملى اسفيرتى على جامورى وقدمى الى اسقالة الرجل وقميصى بمدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقف الجبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من انفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعال ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشابورتك مكسورة وأنت بترلع ماء متغير وتقيم الهليلا فى الساحل دخل عليك شمردغربى والا دخلت على بولجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال يا أولا دجيبوا غريمو بخنسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت

فى الشعث حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لوانصلح كنت عملتلك فى بدزاوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوندهو كارزنى فى معاشى احصطن على الوحسة وانا عائم فى الليل الاوثمردجانى من الشرق كابس هزأطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وهاهو بحمدالله على برالسلامة وان كان انصلح فيه شئ فانا برسوم الامير أجيب له القلفاط اسدفتحه وأعيدله وسقه واخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت تقذف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبرعلى الجر يارجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروامقاديفه وبلواشينة اللبان وانزلواعليه وأوسقوه الجنبين والظهرحتى تلعب الميه على بطونسته هيا قوامك خلوا جنب برا وجنب جوا قدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخونداهوخنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقموه فلما أقاموه باس يدالامير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لايبليك بجراللبان فى الحلافى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شرالاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفاغندبخنسة الريح وفروغ الزادبعيدمن البلادوعياط الركاب عندقيام الموجه وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدا سقالتك واقعد فى زوائدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند مابقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اغبرلهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقائم فقال له الاميراحمدالله على السلامة وأخرج فى دى الطيابه وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى ياعملات على أبوس

(الفصل العاشر فى نوادرجامعة) سمعت امرأة فى الحديث ان صوم يوم عاشورا كفارة سنة فصامت الى الظهرثم افطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهرمنها شهر رمضان واسلم مجوسى فى شهررمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبزنفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لاغير اذامات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلافص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلاسقف وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قدعولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمرابنته فقال لاأدرى الاأن أمهاذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث

وقيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال المائدة قال فأي آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلي يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال انوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلوني وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة في الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح في أنهاره قال لان فيه كلبا لا تمضمض الابدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ماهذه الصفرة التي في لونك قال من الغيرة من المضيفين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لافراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابني يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هارون الرشيد أنه ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي اني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بي أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين مافعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس اتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي فتفكرت الآن في شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو ياأمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتني الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى ان جاء الى ابن المغازلي فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فابى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترحم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكني اضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلي في نفسه وماعسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه ان الجراب فارغ فوقف تكلم وتمسخر وفعل افعالا عجيبة تضحك الجلود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه اربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور فقال العفو ياأمير المؤمنين اسمع مني كلمتين قال قل مابدالك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابني الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين

ثلاث

ثلاث ضربات فنصيبي منهم واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرور فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وامر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول في الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني اختلف في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادي عني فاني قريب وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك نزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداعي اذا دعاني أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان يعجل الاجابة في الدنيا واما أن يكفر عن الداعي واما أن يدخر له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن تعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء مثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا الملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا ألبس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخر لك واعلم ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وان الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وان يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وان يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء اركانا وأجنحة واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور

القلب والخشوع واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادى ربه باللحن ليث ❊ كذاك اذا دعاه لايجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطى ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهى الطنبور ولا صاحب كوبة وهى الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء ان يدعو الداعى مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وان يخفض الداعى صوته بالدعاء لقوله تعالى أدعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبى عبد الرحمن الهمدانى قال صليت مع أبى اسحاق الغداة فسمع رجلا يجهر فى الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغى للداعى أن لا يتكلف وأن يأتى بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى اسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعو بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فمادونها كما فى آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربى الاعلى الوهاب وعن أبى سليمان الدارانى من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغى للمؤمن أن يجتهد فى الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر ومابين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله

عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا افشيت سرك فأفشه الي فاني وفي واذا أقرضت فأقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني ان موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يارب اما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام ومر ابراهيم بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحاق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع اكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه باجابته وقال علي رضي الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضي الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثاني في الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم اني اسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهي لك اذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق

من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت احدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى اجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضى ان الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فاسألك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركمانى لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن ادهم فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد الهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن ان تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شئ به ارحمه وقال طاوس بينما انا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم

انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى اسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت أعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا اعرابى فقال اللهم امح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وامانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال امالك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت أعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الارض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه

وقال أبونواس

احببت من شعر بشار وكلمته ❊ بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلى فى منازلنا ❊ وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ويعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يامن لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والارض من الذنوب لغفرلك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبدل جاهى بالاقتار فأسترزق طالب رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذبك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذبك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول

الله العصر فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكلب آنفا قال رجل من القوم انا
يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف
دعوت الله قال قلت اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات
والارض ياذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة
فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب
الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو يا علي يا عظيم
يا حليم يا عليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى
ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يارب يارب يقول الله عزوجل لبيك
عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له
وروي عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني
الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم
هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال
والاكرام ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له
هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من
يعلم حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا
عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك
الفاضلة ورحمتك الواسعة ان تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم
ما كنت أرى ان أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة
الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك
شيأ تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم اتم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم
اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيمة حتى
تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل
عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحه مكتوب اللهم اني
أدعوك باسمك الاحد الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك
العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها ان تكشف
عني ضر ما أصبحت وامسيت فيه فأوحى الله عزوجل الى جبريل ان ارفع عبدي الى

فقال رسول الله لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطئوا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناده هذا متصل الى معروف الكرخى هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت انه يتوارى عنى فأتيته بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره ماد رجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد ما دمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه اذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ اعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله اكبر اعوذ بالله مما أخاف واحذر الله ربى لا اشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كالطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو امسيت

فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي
وسترك عن قبيح عملي اطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك مما قصرت فيه لي ادعوك آمنا
وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما
بيني وبينك تتودد الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك فلم أر
مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بك حملتني على الجراءة على
الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك ان تصلي على محمد وآله وان تفتح لي
باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني الى نفسي طرفة عين
فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفي باسناده
عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل
ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك
قبلي فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها اياه في مال أو بدن
أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن احللها فاسألك ان ترضيه عني بما شئت وكيف
شئت ثم تهبها لي من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ما تصنع بعذابي
ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعني رحمتك فاني لاشئ واسألك يارب ان تكرمني برحمتك
ولا تهني بذنوبي وما عليك ان تعطيني الذي سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام
وقال صالح المزني قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم اني اسألك
باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها في شئ
الا تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن
الرحيم اللهم اني أسألك بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور
الذي لا يطفأ وبالوجه الذي لا يبلى وبالديمومية التي لا تفنى وبالحياة التي لا تموت
وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستبدل ان تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا
حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة
مقمرة وأظن اني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا هاتف
يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألك بانك ملك وأنت
على كل شئ قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شئ الا رأيت
نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة
قال انبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس احمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري خطيب
دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه

قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبي محمد بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا نهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي يا هذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفي في نفسه واهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله اوادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد وامنها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهي على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو العباس أحمد القسطلاني سمعت الشيخ اباعبد الله القرشي يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول في بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لاهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق ان استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعم هذه أمي في النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت ما به من

الانزعاج قلت اليوم اجرب صدقه فالهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر في نفسي ان قال يا عم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب و يقول يا شديد المحال يا عزيز اذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه انه كان يقول لولده يا بني من أصابته مصيبة في الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول يا موضع كل شكوى و يا سامع كل نجوى و يا شاهد كل بلوى و يا منجي موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسألك يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلي على محمد وعلى آله وان تعطيني كذا وكذا انك على كل شيء قدير وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البوني قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهي هذه

اني لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لابد ان ينشر ما كان طوى * جودا وان يعطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شيء ينتهي الى مدى * والشيء يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال مارجا
سبحان من نهفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله من العطا الذي الخطا

ومن المنظوم أيضا

يامن يرى مافي الضمير ويسمع * أنت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يتشفع *

وقال آخر

ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل أدعوني
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدي * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجيني
واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملني * وقد تجدد بي ماأنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
* ياحي ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت في الملكوت واحد
* أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها نحوي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يامن له حسن العوائد
فخفي لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
انت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد

يسر لنا فرجا قريبا يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست من الاقارب والاباعد
ثم الصلاة على النبى * وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ما خر للرحمن ساجد

دعا عظيم مأثور

اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى اوالى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا اخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا أعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا اسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل و يقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الأعنة والأسنة ودعا أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شيبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج أعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فأتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك اهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا أعرابى على آخر فقال اطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا أعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها

وما دعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين *

فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم كل سلاحهم وأضرب وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم اسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى تحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم انبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما ان منزلته لديك اشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر واحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم أن كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله

وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه و يفوض أمره لربه و ينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه له فيه وقد ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب و يهيئ الجيوش و يأمرهم و ينهاهم لما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من استرقى وا كتوى فهو برىء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية او الكى وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجزع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فيها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما ارجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان اعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا بالله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رأيهما على أن الأعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد و يدور به و يرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه الا ترى ان من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به أن تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالى اما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل

بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال انفق يا بلال ولا تخش
من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن ادهم وهو
فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية فى فمها باقة نرجس فمازالت تذب
عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله المروى قال كنا مع الفضيل
ابن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو أن رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا
الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى
لم أعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات أن رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار
فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى أن أسافر الى البلد
الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا
فقال له هذا غرر فأنا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال
الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل
الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فأخذه ومضى الى البلد
الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر فى البحر
فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها ايام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ
الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه
الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك
فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر
بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال
فاستدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش
كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال كيف وصلت
اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجدك أو أجد من
يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أر لها طالبا
فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فأخبرنى بذلك فقرأت ما عليها
فعلمت أن الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى
النون المصرى رحمه الله تعالى أنه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر
فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة
هذه فيها سمسم والاخرى فيها ماء فالتقط القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون
وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد

في صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد ذكان المعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقي من أحد الصياغ الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم فاتفق ان الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده كانت في يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها فلما أخذها أوراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد أنه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا أؤاخذه ببخله علي وعدم انصافه ولعله يحسن الي بعد ذلك فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقي الصائغ يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيأ فلما مضت الأيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه في تحسين الصفة وسرعة العمل وجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى أن عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا تشرح فيه حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفي ❊ ان لم تكفي فعفي

خرجت اطلب رزقي ❊ وجدت رزقي توفي

فلا برزقي أحظى ❊ ولا بصنعة كفي

كم جاهل في الثريا ❊ وعالم متخفي

قال وعزم الصانع على أنه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما

بهاله بالصنعة ولما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه لم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما اراده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الخطية التي عمل لها السوار بن الذهب فحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فامر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر رحم الله من قال

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

* ماسلم الله هو السالم * ليس كما يزعم الزاعم
تجري المقادير التي قدرت * وانف من لا يرتضي راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شيء لاعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
* والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروى في الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبي الله هل رأيت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يانبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين ويروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعالى نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد

سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الارض على ألف قامة و يبصر القريب منه والبعيد على بعد فى النحوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وانشدوا فى ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها *

وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وان التى رداها

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب سكندرية غاب عن خدمته اياما ففى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشى الماشى فيه قائما فما زال الرجل يمشى الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع مسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر

لانلت خيرا ان بقيـــ * ـت ولا عدانى الدهر شر

ان كنت أعلم أن غـــ * ـير الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا

على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وروى أحمد
ابن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع اربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من
عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال
الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول
ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بجمعة فقال الرابع أنت سمعت هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد
مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام
واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذى
ضللتها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه
وشرابه وزاده وما يصلحه فالله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن
ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى
لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى
عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى
تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن
قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه
فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل
عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من
توبة قال نعم ومن يحل بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون
الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان
نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت
ملائكة الرحمة جاءنا تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل

خيراقط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما
كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة
الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان ادنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من
أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان
امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يارسول
الله أصبت حدًا فأقمه علي فدعا نبي الله فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها
فقال عمر يارسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من
أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عزوجل رواه مسلم وعن
أبي نصرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم
سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد الى الذنب
في اليوم سبعين مرة (وحكى) ان نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى
تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك
فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن اسماء بن الحكم الفزاري
قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه
بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني
أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور
ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا
فاغفر لي قال الله عزوجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث
ماشاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له
ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء وكان قتادة رضي الله عنه
يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار واما داؤكم فالذنوب
وكان علي رضي الله عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وماهي قال الاستغفار
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي استغفر الله
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب
غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا
فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل
وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت

عنك

عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى اسألك واستغفرك من كل ذنب
تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسى ثم لم اوف لك به
واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها
على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عزوجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب
الذنب ثم يستغفرنى فاغفرله ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فاغفرله لا هو يترك الذنب من
مخافتى ولا ييأس من مغفرتى اشهدكم ياملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى
بلغنى ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع
ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع
الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان
فخرج موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء
مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا ايدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم
وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة ايام فلم تمطرلهم فقال موسى اللهم أنت
القائل ادعونى استجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة
والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من بسط لسانه
بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف
يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا
فقال الله تعالى ياموسى لست هتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة
فعساهم يتوبوا معكم فاجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان
اجتمعوا فاجتمعوا فأعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت
أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل ايديهم الى الله عزوجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا
هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا ياأرحم الراحمين فمازالوا كذلك حتى سقوا
بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى
الله الى داود عليه السلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم
وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى
فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيوليني برا وامهالا
فحتى متى اجفوه وهو يبرنى * وابعد عنه وهو يبدل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر مايسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في الامراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايكم يحب ان يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يا رسول الله قال اتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة الا تحبون ان تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الاحط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله في الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثوري يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه اما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء في مرضه ماتشتهي قال ماترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة واصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابي في مرضه ماتشتهي قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذي أمرضني

الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة قيل تسارر ابخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير انه فسا في أذني وقيل ان عبد الملك بن مروان كان ابخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت اميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلي سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه

بكمه فعبرأبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلاب من بينها طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) ان ابخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عانقته وتوات عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا ✽ أهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ مسواكا ✽ من عرفط ان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سواكا ✽ انى أراك ما ضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريف الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب اما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بأن كنت أبرصا ✽ وكل كريم لا أبالك أبرص

وقال

كفى حزنا انى أعاشر معشرا ✽ يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عى ولا من جهالة ✽ ولكنه ما فى للصوت مسلك
فان سدّ منى السمع فالله قادر ✽ على فتحه والله للعبد أملك ✽

ومما جاء فى العمى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حارث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى ✽ ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضئ القوم بى فى وجوههم ✽ ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلاية العلم مالها * من العلم الاماتسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجدّ عليهم * ومحبرتى سمعى وها دفترى قلبى

وقال

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى زكى وقلبى غيرذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما الشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
* يموت المرء وهو بعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذاما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللوقة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام واكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوق وعبد الملك بن مروان ابخر وحسان اعمى وابن سيرين اصم وممن فلج أبو دؤاد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبى دؤاد

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال اعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه اثر فى جبهته قال أصبغ الله اكبر هذا أشج بنى أمية يملا الارض عدلا وقال أعور لابى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال أما الشئ فالبصير كانا وأما الاشئ فالاعمى وأما نصف الشئ

فأنت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

الفصل الثالث من هذا الباب في التداوى من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكننى أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فألح عليه اهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فأتوه بماء فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا والله ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه أوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافى فاسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة مائك اسلم الطبيب وصار من أهل الجنة وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت ان الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء اكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فأحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت أصغرهن وهى

كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى احمد بن العدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولأهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى انوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا مانحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقيل انامله فكم أكلة أكلت نفس حر وكم أكلة جلبت كل ضر وقيل من غرس الطعام أثمره الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين مافيه شفاء وبين الهنى المرى يوشك ان يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك ان تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل اسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمعهد مروان فوجد

غالب

غالب أهل المسجد يشكو من السعال فقال في آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداوى بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك ان تطيل النظر في عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت في محراب سليمان عليه السلام ويقول كل دواء يانبي الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة في العينين والضربان في الاذنين والقولنج في البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته أو في النجوم فأنت هرمس في صناعته أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في علمه أو في السخاء فأنت حاتم في كرمه أو في الحديث فأنت أبو ذر في صدق لهجته أو في الوفاء فأنت السموءل بن عاديا في وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر وقيل الشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهي قارورتك لانه ماء ميت وأنت حي تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع في رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده خصي فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغني صداعك فضعها على رأسك يزول مابك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم وقال على رضى الله عنه ادّهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشدّ العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أوشربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه اخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الافتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرى مافيه ولا تأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا الازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام و لا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل اسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
مامن فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى مايكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى ردّ السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لا حظهم دعواله وانصرفوا وقيل مرض انسان فكتب اليه بعض اصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية واعقبك دوام الصحة ومرض انسان فكتب اليه صديقه

ياخوانك الادنين لابك كلما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

وقال آخر

بى السوء والمكروه لابك كلما * أراداك كانا بى وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضى الله عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى * بعد من عادنى ومن لم يعدنى

وقال على بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا عدمت اذا * عيشى واحمد برعى ليله وصبا
الله يعلم انى قد نذرت له * صيام شهر اذا ما احمد ركبا *

وقال آخر

اذا مرضتم أتينا كم نعودكمو * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

اعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد *

وعلى الثانى قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين
لا تبرمن عليلا فى مسائلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله)

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لأبى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة

ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحرزك فان الحزين فى ظل الله تعالى و يقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى وهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جزعتنى علقا فلم استطل حياتك ولم استبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا الى فراشا وأسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم أكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع *

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجا من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثره واعف عن الزله وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبى يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب واجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى وأجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى انى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه

حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابي انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدري الى أين أهبط والى أي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم استعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال اما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه رحمه الله تعالى وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور في مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ولما احتضر عمرو بن العاصي دعا بغل وقيد وقال ألبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعفو فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه ولما احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود وسمع أبو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه السلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة

وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكى) ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليلا حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض اصدقائه أما ترى ما بليت به ما احببت أحدا الامات فقال يا أمير المؤمنين أحبني فقال ويحك ان الحب ليس هو شئ يصنع انما هو شئ يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فحم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن اسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول اربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على اكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى ما لا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده ايسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال اخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن

معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة اقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا اني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسما بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشروني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون ولما احتضر عبد الملك ابن مروان قال لابنه الوليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعا لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني عليك وشأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا الضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا الا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ✽ ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هارون

كأني باخواني على جنب حفرتي ✽ يهيلون فوقي والعيون دما تجري

✽ فيا أيها المذري على دموعه ✽ ستعرض في يومين عني وعن ذكري

عفا الله عنى انزل القبر ثاويا * ازار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره صالح العمل ولا يغتر بالأمل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغنى سأله مافى يده أحبط الله ثلثى عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذى فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعنى قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى انه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك ياابراهيم لمحزونون ولا نقول الا مايرضى الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضى الله عنهما أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى من استسلم لقضاءى وصبر على بلاءى وشكر نعماءى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضاءى ولم يصبر على بلاءى ولم يشكر نعماءى فليتخذ ربا سواى وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها

فهما

فهما اثنتان لأن احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب اجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مت أنا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضي الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا ابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي اعطا كما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وقال

ايا صاحبي ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكبر الاحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك ولما مات ذر الهمداني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ماظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا في مثله ولما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل أجري فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله

لقد كنت بي بارا ولي نافعا وكنت لك محبا ومابي اليك من وحشة ومابي الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ماصرت اليه فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ماجعلت لي من الاجر الى ذر صلة مني له فلا تحرمني ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بي وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لي فهب لي اساءته اليك فانك أجود مني واكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك الي المصير اللهم اني قد غفرت له ماقصر فيه من حقي فاغفرله ماقصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك مانفعناك وفي الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم ياملائكتي اني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه دفن ابناله وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله واقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفرلنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين .

(الفصل الثاني من هذا الباب في التعازي والتأسي) روى الترمذي في كتاب السنن للبيهقي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره ورويناه في كتاب الترمذي أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي برداء في الجنة ورويناه في سنن ابن ماجه والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن يعزي أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهي من أحسن مايستدل به في التعزية وثبت في الصحيح ان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعد وتكره بعد ثلاثة ايام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى أن يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك واحسن عزاك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عددا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان انما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمها الله ان الشافعى قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان امض المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل انه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان ابابكر رضى الله عنه كان اذا عزى مرزءا قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله

عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا انا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخي أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

* تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد

هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت اخفى سوءة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

* اما ترى الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد أعترضت على مالك الامر وأنت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائره وسنة ماضية غابره وقدر الله هو المقدر واجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بنى سوء الخلف اضر علينا من فقد السلف ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه أعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت

ثم

ثم دفعها له وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى واعانه على طول البلى وآجركم ورحمه وكان لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال اولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فأين يخرج ابنك عن واحد من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم انه لم يبك بعدها وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابى هذا فاجمعى أهل بلدك وأعدى لهم طعاما ووكلى بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة فى أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها فى نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزنى على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحارث قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين ايديها وقال لها ابكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكى معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح ومما قيل فى التأسى والتسلى بالخلف عن السلف قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الملك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح فى الايام تعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما فى الناس من خالد

وقال آخر

تبصر فلو أن البكا رد هالكا ❊ على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا ❊ لعلمت غرب الدمع كيف يسيل

فان غاب بدر فالنجوم طوالع ❊ ثوابت لا يقضى لهن افول ❊

يغاث بها فى ظلمة الليل حائر ❊ ويسرى عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

❊ أليس لهذا صار آخر أمرنا ❊ فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تجزعي يا نفس مما ترينه ❊ فكل امور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعى عن قول الخنسا فى نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا ❊ وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى ❊ أفارق عيشتى وأزور رمسى

ولولا كثرة الباكين حولى ❊ على أمواتهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل أخى ولكن ❊ أسلى النفس عنه بالتأسى

وقال آخر

ولولا الاسى ما عشت فى الناس ساعة ❊ ولكن اذا ناديت جاوبنى مثلى

وقال آخر

وهون وجدى عن خليلى اننى ❊ اذا شئت لاقيت الذى انا صاحبه

وقال

ومما يؤدينى الى الصبر والعزا ❊ تردد فكرى فى عموم المصائب

(الفصل الثالث فى المراثى) لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من اصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا ❊ ضاقت على بعرضهن الدور

فارتاع قلبى عند ذاك لموته ❊ والعظم منى ما حييت كسير

أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى ❊ والصبر عندك ما بقيت يسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور *

وقال

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا
وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عازما حليما كريما * عائدا بالنوال برا تقيا *
ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان خليا
فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان الحارث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل *
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ماسالت عليه * نفوس الناس أوكادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول *

ولما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرن العيش لي * فالعيش بعدهم حرام
اني رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤيد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد *

فقالا أقنا كي نعزي بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال آخر

ولا ارتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

وفي المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسي المصائب بعده * فاصبحت منها آمنا ان اروعا
* فما اتقي للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجي للعيش بعدك مرتعا

ورثى اشجع السلمي عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدري مافواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح في لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سابكيك ما فاضت دموعي فان تغض * فحسبك مني ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله اشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
* أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
* فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال آخر يرثي صديقه

خليلي ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلي لو نفس فدت نفس ميت * فدتك مسرورا بنفسي وماليا
وقد كنت ارجو أن تعيش وان أمت * فحال رجاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

اخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

وقال آخر يرثي اولاده

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد في شطري

* الا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى *
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فاصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنسا أخبرينى بأفضل بيت قلته فى اخيك فقالت
وكنت اعير الدمع قبلك من بكى * فانت على من مات بعدك شاغله
ولابى المحاسن الشوّاء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته
لم انسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكانها * من حزنها لبست عليه بياضا
وقال آخر
وليس صرير النعش ماتسمعونه * ولكنه اصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك رياحنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف
وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك
كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عند ماعزت الى الصدف
وقال آخر
وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبى وأمى وجهك المقبور
وارى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واجد * فى كل بيت رنة وزفير
عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير
وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال
لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا
ايسرنى عيد ولم أروجهه * فيه ألا بعدا لذلك عيدا
فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقاولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ماأم خشف قد ملا أحشاها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوءا بها مرصودا
* منى بأوجع اذ رأيت نوائحا * لابى الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا

ولئن بقيت وما هلكت فان لى * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما هدّ ركنى بالسنين وانما * اصبحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت انى لم اكن لك والدا * وكذاك انك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقى الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفنى لم يزل محمودا
فلأنظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولدا له أوصاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسماعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم ما لاقى فقالت جوانبه
أتنسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصفدى

يا غائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابناله

اضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليه وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب احمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتاله فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخا كا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

وله يرثى الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور باطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الا لمن بات واثقا * بأيام دهر ماوعى حتى يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو ان كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقا له توفى وكان من الكرماء

مادرى نعشه ولا حاملوه * ماعلى النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * اسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

* هلما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كنت اول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
وياقبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبرقد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال آخر

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت ابكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم اصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

وقالت ربطة بنت عاصم

وقفت فابكتنى ديار عشيرتى * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت اعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر *
ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عامر *

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عميه ادريس ومحمد وكانا فى حبسه وكان أبوه قائما يصلى فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس فى حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى فى حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق

ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك فالاعلى المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا واحوالها وتقلبها باهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل أتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى الى واد من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما

برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم اخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى يا على اربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
انت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض وأشكالا بغير وفاق
تجئ وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما أنعم الله على عبد * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم

* لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * ان المفرط في التزود نادم
* لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا في حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل اصير كوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد

* يا من تملك ملكا لا بقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذي الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال في الكرى زارا

وقال بعضهم

* وغاية هذي الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن * بانك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحاب الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخاليه أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رءوسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش

والعساكر

والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين اعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين امنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملأوا مابين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا افناهم الله مفنى الامم وابادهم مبيد الرمم واخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لاترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا اغنى عنهم ما اكتسبوا اسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد

كأنى لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد

فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن اخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج اكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم ينفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبى نواس قاله للخليفة هارون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت انه لى بنصف شعرى وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا ونقصها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء امرك حتى صرت الى هذا فقال كان ابى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا انا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو ارنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم

مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة و يسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان
ثم حركت فرسي فسمعت النداء من قربوس سرجي يا ابراهيم مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت
فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ماعصمني بعد
يومي هذا فتوجهت الى أهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة ابي فأخذت جبته
وكساءه وألقيت اليه ثيابي فلم أزل أرض تقلني وارض تضعني حتى صرت الى العراق
فعملت بها أياما فلم يصف لي شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال
عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لي شئ
من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان
المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاءني
رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت في البستان أياما كثيرة فاذا خادم له
قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال
ياناطورنا فاجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فاتيته برمان فكسر
الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال ياناطورنا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل
من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم
شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم
قال لي لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا
الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان
يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما
يحرس كرما اذ مر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لي
فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله ياسيدي الجندي
فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ
مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور
مكتوب فيه أنا دوسيم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش
وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى التراب فراشي والحجر وسادي
فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات
يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرط فقالوا يانبي الله انا جياع فأوحى الله
تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون و يأكلون فبينما هم
كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي فبأذن من
تأكلون ياهؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك

الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا فغفر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يانبي الله اني لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال أرسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال في كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ماتخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبي * فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل *

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا واقبل على الآخرة فجمعتني واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم انس الي فجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فامرت يوما خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فاني لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فاوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال افق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشأ يقول

* ياخل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما تراني ثم انشأ يقول

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
* وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة اونار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه اسمجه

ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه اصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بارض صنعا اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى ابيات جليلة وموعظة عظيمة جليلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من اعالى عز معقلهم * فاسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد اكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فاصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية واعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فابطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فاكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه واكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من اكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاء قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فانطق الله له لبنة فسألها عيسى فاخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الاية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فاخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى اتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة اكوام من الرمل فقال لها كونوا ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل انا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى واقام الرجل ليس معه من يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث

انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا اكلا ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه واكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل باهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية انا سبأ بن نواس خدمت عيص بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور احبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الاجلاف الجفاة دستنزلونى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه انا بهرام ملك فارس كنت اعتاهم بطشا واقساهم قلبا واطولهم املا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش واذللت الجبابرة وجمعت من الاموال مالم يجمعه احد قبلى ولم استطع ان افتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بينما هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يانبى الله انا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوب على قصر قد خربت اركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

وقال فى المعنى

يالله ربك كم قصر مررت به * قد كان عامر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

وفيه

ايها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وانا فى هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى ان ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وماهما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى هاهنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر هاهنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله مايذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت هاهنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله مايذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله مايذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها اليها ولبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

ولبعضهم

أيها الربع الذي قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا

أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا

فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفى أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضئ قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذى ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

* أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل

لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات * وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوب على قصر باد أهله

* هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر *

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت ما وصفها به أبونواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذونسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وروى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله أعلم

*(الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فصل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب وانذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم)*

(الحديث الاول) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه

(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام

(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك

(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار

(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات

(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا

(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة

(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية

(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة

(الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربكم منى مجلسا اكثركم

على صلاة

(الحديث الثاني عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته

(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد الا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة

(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد

(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي على

(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على اخطأ طريق الجنة

(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بايديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتي

(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه

(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم على صلاة

(الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه مالم يندرس اسمي من ذلك الكتاب

(الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني الصلاة على من أمتي فأستغفر لهم

(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فأنا بريء منه

(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا على

(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى

النار فأقول ردوه الى الميزان فأضع له شيأ كالانملة معي في ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه و ينادي سعد فلان

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصلى على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه

(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه اسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد الالوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه اجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن خارجة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم.

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على

(الحديث

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا الخير او جزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلي علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور

لابن سبع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطي أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء ولا رسولا بالرسالة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى بن مريم اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في اربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكره هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لانهم ما كانوا

ينكرون ان اسمه محمد الثانى قوله عزوجل ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عزوجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عزوجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه احمد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما ارسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بنى اسرائيل يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة احمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أى يدعو الناس بامر الله تعالى الى لا اله الا الله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال انا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج اعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس اعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبسون منه والسراج اذا كان فى بلد لا ذلك البلد نور الان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان اول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم و بلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين

لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح
ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله
عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات اقلام وجميع الخلق تكتب
معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر
من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من
خالص أمته واحشرنا في زمرته وأمتنا على
محبته ولا تخالف بنا عن ملته
ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم
الراحمين آمين وصلى الله
على سيدنا محمد النبي
الامي عدد ما ذكره
الذاكرون وغفل
عن ذكره
الغافلون

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب
المسمى بالمستطرف في كل فن مستظرف بمطبعة
راجي عفو ربه المعين السيد محمد شاهين على
ذمة حضرة السيد احمد أبو النصر وذلك
في اوائل شهر جمادى الاولى الذى
هو من شهور سنة ١٢٧٧
من الهجرة النبويه على
صاحبها افضل
الصلاة وازكى
التحيه
بمحروسة مصر وقاها الله كل شر

تشغيل الشبراوي المطبعجي

توفى الى رحمة الله تعالى الحاج عبد الله محمد غلوم فى بندر جدة فى شهر محرم الحرام ١٢٨٣
وتغسيلنا فى بندر [illegible] سنة [illegible] والطوفى [illegible] [illegible]

عرض كسانى كه او را اخلاص [illegible] طلب بر سلامتى ذات [illegible]

اين دعوا رقم [illegible]